

منى رجب

النساء قادمات..!

النساء قادمات..!!

بقلم

م رجب

الفهرس

قبل أن تقرأ ٦
يوم المرأة ومستقبلنا ٩
الفتاة المصرية ومفهوم النجاح........ ١٠
كوني امرأة خارقة........ ١٢
امرأة وحيدة جدًا........ ١٣
المرأة والعمل........ ١٤
أساس جديد لعلاقة المرأة والرجل........ ١٥
رجل وزوجتان ١٦
المفهوم العصري للجمال........ ١٧
جرائم الاغتصاب والمحاكمات السريعة ١٨
الصداقة المفقودة........ ٢٠
المرأة ونظرة أخرى لقضاياها........ ٢١
ثورة يوليو والمرأة........ ٢٣
قانون الأسرة والدورة الجديدة ٢٥
أطفال الحروب ٢٦
المراهقون وقضاياهم الملحة........ ٢٧
الكمبيوتر يغزو بيتي ٢٩
ابني.. صديقي........ ٣٠
الفن والتلاميذ الصغار ٣٤
حديقة صغيرة للأطفال الكبار ٣٦
الكاتبة والبرج العاجي ٣٩
أفسحوا الطريق – النساء قادمات ٤٢
لقاء في روما........ ٤٦
لقاء مع أديب جزائري في المنفي ٤٩
لقاء في الكويت ٥١
الكويت والمقاتلات الأوائل........ ٥٣
باريس والعودة إلي الزواج........ ٥٥
الموناليزا وسر ابتسامتها........ ٥٦
باريس وقواعد المرور ٥٨
قصر فرساي والسياحة........ ٦٠
صيف كتابي جدا في باريس ٦١

التليفزيون والعنف ٦٤
المعرض وقضايا ساخنة ٦٦
الشباب والتواصل الضروري........ ٦٩
الأميرة ديانا وصورة أخرى لها........ ٧٠
الأدب وقضية الاستنساخ........ ٧١
الاحتفال بحقوق الإنسان ٧٥
أمينة السعيد أو الأستاذة الحاضرة ٧٩
رحيل لطيفة الزيات........ ٨١
الباحث عن المستحيل........ ٨٣
مصر في عيون ثلاثة أدباء عالميين ٨٥
نحن والعلاقات المسمومة ٨٨
القرن الحادي والعشرون وأمراض جديدة ٨٩
البالية الحديث يواجه العنف ٩١
القاهرة تستقبل ألفية جديدة........ ٩٣

الإهداء

إلي شمس

وقمر يسطعان

في حياتي

ابنتي رنا وابني محمد

لعل الغد يكون لهما أجمل من اليوم..

وأكثر سلاما

وعدالة وحرية..

منى رجب

قبل أن تقرأ

ترى ما الذي يحمله لنا القرن الجديد من أحداث وتغيرات.. وما الذي يخبئـه لنـا المستقبل؟.. سؤال يؤرقني ويشغل بالي بصورة مستمر.. وما الذي نريده من هذا القـرن الذي أطل برأسه منذ أيام؟؟

لا شك أن لكل منا حلما يتمنى تحقيقه.. وقضايا تشغل ذهنه، أو مشاكل يريـد أن يجد لها حلاً.

ولا شك أن الحلم هو القادر علي التخفيف من وطأة الحاضر الراهن ومنحنا القدرة علي الاستمرار والتجديد والتطور وتحقيق الأهداف.. ولولا مساحة الحلم في حياتنـا مـا تمكنا من التقدم إلي الأمام وما استطاعت البشرية أن تقدم لنا كل الاختراعات التي نشهدها والتي كانت ذات يوم حلما في رأس أصحابها. باختصار: قل لي ما هو حلمك؟ أقول لـك من أنت! قل لي ما هو حلمك أقول من أنت..!

أنا لست من الذين يحلمون من فراغ.. لأن أحلامي مصدرها إمكان الفكـر فـي الواقع المعاش والقراءة الشفافة للأحداث من حولي والمتابعة المتأنية لمجريات الأمور في العالم، والتوحد الصادق مع قضايا الإنسان المعاصر. واللقاء الحي بنوعيات مختلفة مـن الناس.

فأنا مثلاً يؤرقني ما يحدث للإنسان في عالمنا العربي، بدءا مما يقترف ضد المرأة في الجزائر، ومرورا بمصير أطفال العراق.. وانتهاء بحال الشباب المصري، ومن هنـا فإنني أتساءل: لقد أطفأت ألفية شموعها، ليبزغ فجر ألفية أخرى قرن آخر، فماذا سـيكون شكل القرن الجديد؟ لقد عشنا قرن التناقضات العظيمة، هذا القرن العشرين الذي لم يـشهد تاريخ الإنسانية تغييرات مماثلة له.. بقدر ما رأيناه في السنوات الأخيرة منـه.. تغيـرات عالمية وتكنولوجية وإنسانية صارخة الملامح، صاروخية الإيقاع.. لم تكن في الخيـال أو الحسبان.. ويا لها من سنوات صعبة نعيشها، فمنذ أن نفتح عيوننا نرى بحارا غزيرة من الدماء تراق، وأمواجا عاتية من العنف تقتلع الأمان، وتيارات عالية من التطرف تطحـن البشر وتسحق آدميتهم.. سباق محموم علي المادة وجمع المال بأيـة وسـيلة.. ومعـايير اختلطت.. وقيم اختلفت.. وسلوكيات تسيدت.

يكفي أن تقرأ الواقع في التسعينيات لنرى قمة التناقض ماثلة أمامنا بين قوي العلم وقوى التدمير، بين قوى التقدم وقوى التخلف، بين قوى السلام وقوي الحرب.. بين قـوى الخير وقوى الشر.. فأيهما سينتصر في القرن الحالي؟ سؤال يبحث عن إجابة.

يكفي أن هذا المزيج العجيب من الشيء وضده، موجودان في ذات الوقت، مثلاً:

كيف تزامن تبادل المعرفة بواسطة الإنترنت مع أساليب الخداع بواسطتها أيضا؟

كيف تزامن انتشار الأقمار الصناعية ونقل الحدث إلي أية بقعة من العالم لحظـة وقوعه، مع استغلال تلك الوسيلة في استخدام العنف والإعلان عن الدمار والإرهاب فـي ذات الوقت؟

كيف تزامن تطور غزو الفضاء مع استفحال الجوع والمرض في آن واحد؟

كيف تزامن ثراء بعض الدول مع الفقر المدقع لملايين البشر في مناطق أخرى؟

كيف تزامنت ثورة الآلات الحديثة مع ارتفاع معدلات البطالة في كل الدول؟

كيف تزامن تولي المرأة لأهم المناصب السياسية والاقتصادية في بعض الدول مع اجتياح موجات تطالب بعودتها لظلام العصور الوسطي في الدول أخرى؟

كيف تزامن تقلد المرأة لأرفع الأوسمة العلمية والإغداق عليهـا بأسـمى آيـات التكريم من المنظمات أو الزعماء، بينما هي تقدم قربانًا علي مائدة التطرف لدى منظمات وجماعات أخرى؟

ترى هل سيكون القرن الحالي أفضل من الأعوام التي عشناها حتى نهايته؟

هذا هو السؤال الذي يؤرقني، ولهذا فإنني لن أكف عن الكتابة في أحـوال هـذا العصر، وعن حال الإنسان فيه، سواء أكان رجلاً أو امرأة أو طفلاً، ولهذا لابد أن أحلـم لهذا الإنسان، وخاصة المصري، من خلال قراءة الواقع الراهن.. وأنا أحلم انطلاقًا مـن دمج عدة نظريات لمغزى الأحلام في ثلاثة عصور، هي الفراعنة والإغريـق والعـرب القدماء فالأحلام عند الفراعنة كانت تعني القراءة الخافتة للمستقبل، باعتبارهـا تتـضمن إيحاءات وأشارت تنذر صاحبها من كل المخاطر القادمة.. أما الإغريق فكانوا يعتقدون في قدرة الأحلام علي تحديد أفضل السبل لعلاج الأمراض، وأن الإنسان يمكنه في أحلامه أن يتوقع ما سيصيبه مستقبلاً من أمراض ومواجع فيتجنب مخاطرها وشرورها.. وفي بلادنا هناك من لا يزالون يعتقدون أن الأحلام تفسر مستقبلهم، وكأنها قراءة للغيب، ثـم تحـول الحلم إلى اقتناع بأنه يفسر المستقبل في بداية القرن العشرين..

وهكذا فإنني انطلاقًا من هذه النظريات معا، بالإضافة إلي أن الأديب هو في جزء منه حالم كبير، ولديه القدرة علي القراءة الشفافة للواقع، فإنني لن أكف عن قراءة الواقـع الإنساني، والكتابة عنه وتحليله وتأمله، بهدف تغييره إلي الأفضل، ولن أكف عن المطالبة بوقف العنف والحرب وقتل النساء والأطفال.. لن أكف عن الحلم بأنه لابد من أن يتكاتف الشرفاء من الكتاب والفنانين والساسة والمنظمات لجعل الحياة أفضل لإنسان القرن الحادي والعشرين، بغض النظر عن جنسه أو لونه أو عقيدته.. أحلم بأن تتعـاظم قـوى البنـاء

والسلام في مواجهة قوى التدمير والحرب.. وأن تتوقف بحور الدماء التي ترتكب تحت مسميات عديدة لتحول الكرة الأرضية إلى كتلة من النار والدمار..

أتمنى أن توضع الإجراءات والضوابط والقوانين التي تمنع الاستخدامات السيئة للاختراعات العلمية الحديثة.. وأن تصاغ تشريعات تكفل حماية المرأة وتصون آدميتها وتحترم كيانها علي هذا الكوكب.. أحلم بأن تتوقف مذابح الأطفال في الجزائر وفلسطين والعراق. أحلم بأن أكتب في مطلع القرن الجديد فأجد أن المرأة المصرية قد تم محو أميتها.. وتحسنت أوضاعها في شتي المجالات. وتولت أرفع المناصب.

أحلم بأن يكون الفكر المصري في موقع الصدارة في قلب العالم الحديث.. وأن يلقى المثقفون المصريون ما يستحقونه من مكانة علي الساحة الدولية.. أحلم بأن تصبح الصحافة المصرية معبرا يساهم في صياغة الحياة في الوطن العربي بشكل أفضل لتكون أكثر سلاما وعدالة ورخاء لكل أبنائه من المحيط إلي الخليج.

ولا أعتقد أنني سأكف عن الحلم لأنه لولا قدر الحلم لأصبح الحياة عسيرة الاحتمال بالنسبة لي، ولصار التفكير في تغيير الواقع المعاش مستحيلاً.

ولكن بجوار الحلم يبقي نور الحقيقة.. ويبزغ الواقع الذي نعيشه.. وتبقى "الكلمة" التي أكتبها عن هذا العصر الذي أعيشه والتي تعبر عن رؤيتي ورأيي ومشاهداتي.. ولأن "الكلمة" هي فقط القادرة علي أن تجعل الوقت الذي فقدناه هو الذي عاد إلينا.. فها أنا ذا أجمع بعض الرؤى والآراء واللقاءات التي كتبتها خلال فترة التسعينيات والتي تحمل رؤيتي لهذه الفترة ذات الوجود المتعددة والمتناقضات.. فهي فترة شهدت تغيرات كثيرة ومتعاقبة. ألقت بظلالها علي الإنسان وعلي وجه الإنسانية.. فكان لزاما علي أن أكتب عنها.

وهذا الكتاب الذي بين يديك يا عزيزي القارئ هو نظرة أخري لهذه الفترة التي تمثل مفترق الطرق في تاريخ الإنسانية لأنها تفصل بين قرنين وألفيتين ولأنها شهدت الكثير من المتغيرات المتعاقبة.. وبداخله تصور لمستقبل أكثر حرية وعدالة وسلاما واحتراما لحقوق كل إنسان.. وما أزال أمضي في طريق "الكلمة".. لأنني اخترتها لتكون الدرب الذي أسير فيه منذ البداية.. ولأنه إذا كان الحوار الأعلى صوتًا الآن هو حوار المدافع والقنابل والصواريخ.. فإن الحوار الأبقى هو حوار الكلمة والفكر والحضارة - فالمدافع قد تسكت.. أما "كلمة" الكاتب فتبقى حية خالدة بين طيات كتاب لتشهد علي عصرها.. ولتحمل بين ثناياها مسئولية كاتبها. إن "الكلمة" تتجاوز الزمان لتقرؤها الأجيال جيلاً بعد جيل وقرنا بعد قرن.

يوم المرأة ومستقبلنا

بينما نحتفل بيوم المرأة المصرية ويحتفل العالم كله بيوم المرأة العالمي.. لابد أن أقف قليلاً لأطرح سؤالاً أساسيا. أين تقف المرأة المصرية في نهاية القرن العشرين؟ وهل أخذت المكانة التي تستحقها باعتبارها نصف المجتمع؟ سؤال يحتاج إلي طـرح صـادق وأمين، ولكن أستطيع القول بصفة عامة أن حال المرأة المصرية في حاجـة إلـي دفعـة قوية.. هي في حاجة إلي كيان قوي أو وزارة مسئولة تضم كل الجماعات.. والجمعيـات والمنظمات التي تعمل في مجال المرأة يكون قادرا علي إحداث التغييـر إلـي الأفـضل، وأول خطوة في هذا التغيير هي إعادة النظر في التشريعات والقـوانين الحاليـة بحيـث نضمن لها حياة آمنة وعملاً مستقرا وقوانين عادلة.. صحيح أن المرأة المصرية قد تقلدت بعض الأعمال والمواقع والوظائف التي لم تكن متاحة لها قبل التـسعينيات، ولكـن فـي المقابل فإن مشاركتها في هذه الأعمال لا تتناسب مع كونها نصف المجتمع.. ولننظر مثلاً إلي نسبة مشاركتها الضئيلة جدا في مجلس الشعب والشورى وفي الأحزاب الـسياسية.. وفي المواقع القيادية.

فإذا انتقلنا إلي الواقع الاجتماعي فسنجد قضايا ملحة قد طـرأت خـلال العقـدين الأخيرين.. فهناك ٤ ملايين امرأة من ١٨ إلي ٣٠ سنة بـدون زواج وبـدون ضـمانات للمستقبل.. وهناك مئات الآلاف من القضايا التائهة في ردهات محاكم الأحوال الشخصية، وهناك نسبة كبيرة في التسعينيات من حالات الانفصال والطلاق وتعدد الزوجات والزواج العرفي، وكلها ظواهر في حاجة إلي إيجاد الحلول لها. ثم لننظر إلي التيارات التي تعلـن الوصاية علي المرأة وكأنها كيان ناقص الأهلية، فمرة تطالب بعودتها إلي المنزل ومـرة تعتبرها عورة، ومرة تريدها أن تعود إلي عصور الحريم.. كل هذه قضايا ومشاكل هزت علي سح حياتنا خلال العقدين الأخيرين.. وفى حاجة إلي أسـلوب جديـد لمواجهتهـا.. ودعونا ننظر إلي تجربة دولة متقدمة كفرنسا، فقد أنشأ الرئيس جاك شيراك وزارة جديدة في نوفمبر ١٩٩٨ تولتها نيكول بيري هي وزارة حقوق المرأة وقـال ليونيـل جوسـبان رئيس الوزراء الفرنسي لحظة أن كلفها بالمسئولية "لقد حانت اللحظة لتصبح حقوق المرأة مسئولية حكومية". إن مستقبل المرأة المصرية هو مستقبلنا جميعا.. فلماذا لا نقتحم القرن الجيد بسياسات ورؤى جديدة تكفل للمرأة حياة كريمة؟ ولماذا لا نرسم خريطة أكثر عدالة لمجتمعنا في السنوات القادمة؟؟

الفتاة المصرية ومفهوم النجاح..

ما هو مقياس نجاح الفتاة المصرية؟ هل هو أن تتزوج وتصبح زوجة سعيدة؟

أم أن تتعلم وتحصل علي شهادة مناسبة؟

أم أن تعمل وتبرز في عملها؟

للإجابة علي هذا السؤال لابد أن نعود إلي كيفية وتنشئة وتربية الفتاة المصرية.. فلقد شبت أجيال متعاقبة علي أن نجاح الفتاة في الحياة يتمثل في تحقيق مثلث مقدس هو الزواج والأسرة والأبناء.. فإذا ما تحقق لها هذا فمعناه أنها امرأة ناجحة أما إذا أخفقت في تحقيق أي ضلع من أضلاع هذا المثلث، فإن المجتمع يبدأ في النظر إليها نظرة شك وريبة وقلق.. وإخفاق.. ولم يتغير هذا المفهوم حتى الآن رغم ما حدث من متغيرات اجتماعية واقتصادية وسياسية عديدة خلال السنوات الأخيرة إن نظرة متأنية للواقع الراهن تجعلنا نعيد التفكير في كثير من المفاهيم الاجتماعية السائدة التي نشأنا عليها.. والتي لم تعد تناسب ظروف العصر ومتغيراته ومتطلباته..

فمن بين المتغيرات مثلاً تأخر سن الزواج للفتى وللفتاة، وصعوبة الحصول علي مسكن مناسب وغلاء الأسعار، وغيرها من المتغيرات التي ألقت بظلالها علي الأسر المصرية وعلي العلاقات السائدة في المجتمع.. ومن هنا أقول أن علينا أن نعيد ترتيب مثلث النجاح القديم ليصبح هذا المثلث مشكلاً من ثلاثة أضلاع هي التعليم والعمل والزواج.. إن الزواج عنصر أساسي في السعادة وفي استقرار المجتمع وفي النجاح في الحياة.

ولكنه ليس كل النجاح.. فمثلاً ماذا تفعل الفتاة إذا لم يظهر الزواج المناسب حتى سن الثلاثين مثلاً أو خلال سنوات الدراسة؟ ماذا تفعل الزوجة إذا توفى زوجها فجأة وأصبحت فجأة بلا عائل وبلا عمل يصون كرامتها ويقيها مذلة السؤال؟ ماذا تفعل الزوجة إذا تركها زوجها فجأة في منتصف الطريق بدون ذنب منها؟ أو قرر مثلاً أن يتزوج غيرها؟ ماذا يفعل طابور طويل يتكون من مئات الآلاف من طالبات الجامعة الآن يقف في مفترق الطريق، ولم يظهر لهن الزوج المرتقب؟ هل نحكم علي هؤلاء النساء بالفشل والإخفاق أم نفتح أمامهن أبواب المستقبل! والعطاء للذات وللمجتمع من خلال العمل؟ كل هذه الأسئلة تطرح نفسها بإلحاح وعلينا أن نجد لها الإجابات المناسبة! ومن هنا فإنني أقول للفتاة المصرية التي لا تزال في بداية مشوار الحياة أن عليها واجبا تجاه نفسها هو أن تفكر في المستقبل بصورة إيجابية وواقعية.. أن تتعلم وتعمل ثم تتزوج.. فإن لم يأت الزوج أو تزوجت وحدث خلل في الزواج كالانفصال أو كوفاة الزوج. فليس معني هذا

أنها قد أصبحت إنسانة فاشلة.. أو أن تستسلم للأمراض النفسية والبدنية إذ يمكنها أن تكون إنسانة ناجحة بعملها، وبجهدها الذي تعطيه لمجتمعها ولوطنها ولعائلتها. إن علي الأسـر المصرية إعادة النظر في كثير من المفاهيم الخاطئة التي تبثها في أذهـان الفتيـات دون النظر إلي عواقبها المستقبلية، ودون التعمق في الواقع المحيط بنا.. وعلـى المجتمـع أن يعيد ترتيب مفاهيمه الخاطئة التي لم تعد تناسب ظروف الحياة.. والاختلاف في معطيات العصر الراهن عما سبقه من عصور وأزمان.

١٩٩٩

كوني امرأة خارقة

قدر المرأة العصرية يا سادة أن تكون "سوبر وومن" أي "امـرأة خارقـة".. وأن تلعب كل الأدوار التي تضاعفت عليها في السنوات الأخيرة كفاءة عالية.. وبلا شكوى أو تذمر.. بل إن النجاح الآن في هذا العصر الصاروخي الإيقاع قد أصبح يعنـي أن تكـون إنسانًا خارقًا للعادة.. أما التفوق فله تركيبة أخرى تحتاج إلي وقفة أخرى.

والغريب في الأمر أنه مع نهاية القرن أصبح علي المـرأة أن تواجـه ضـغوطًا جديدة ومتزايدة أشد وأعظم من تلك التي واجهتها جدتها.. والمؤسف أن المرأة العـصرية تحاول جاهدة القيام بكل الأدوار المتصارعة والمتعددة المطلوبة منها دون أن تجد المقابل – فالرجل الشرقي منذ نعومة أظفاره ينشأ وفي فمه ملعقة التفوق، لأنه ينتمي إلي جـنس الرجال ويقاس مدى نجاحه في الحياة بنجاحه في ميدان عمله.. ويقال له لا شـيء يعيبـه لأنه رجل.. أما المرأة فإننا ننشئها على أن مفهوم النجاح لها هو نجاحها أولاً في رعايـة زوجها وإسعاده وتربية أبنائها.. وأن تكون ست بيت جيدة.. وقليلون هم الآبـاء الـذين ينشئون أبناءهم علي مفاهيم تقدمية تساوي بين الرجل والمـرأة - وهكـذا فـإن المـرأة العصرية في التسعينيات لا تزال تحاصرها الأدوار التقليدية كزوجـة وأم و"سـت بيـت" وشغالة كهربائية، تقوم بكل الأعباء المنزلية دون معاونة من الرجل.. كـل هـذا تؤديـه وتستوعبه.. أما أحدث دور أضيف إلي قائمة مسئولياتها المتعددة نتيجة عيوب في النظـام التعليمي الراهن فهو دور المدرسة لأبنائها.. إن المرأة العربية مستنزفة حتى آخر قطـرة من دمها في معاونة أبنائها علي استذكار وفهم وحل طلاسم مناهج طويلة ومعقدة تـسرق من أطفالنا طفولتهم.. وبدلاً من توجيه ذكائها لمزيد من المشاركة في دفع عجلـة التقـدم والتطور في بلادها.. نجدها غارقة في تأدية دورها كوزيرة للتربية والتعليم في بيتهـا.. با عليكم.. كيف سنتجه إلي مواجهة تحديات المـستقبل والثـورة التكنولوجيـة التـي تحاصرنا بينما نحن مازلنا عاجزين عن تطوير نظامنا التعليمي الحالي؟؟ وكيف تـستطيع المرأة العصرية أن تكون كيانًا اجتماعيا فعلاً يسهم في العمل العام ويبث في المجتمع قـيم الإبداع والتفوق، وهي مستهلكة في أدوار إضافية؟!

أعتقد أنه ليس أمامها حاليا سوى أن تتناول "الفيتامينات" من كل لون وصنف، وأن نزرع داخلها الأمل في أن الغد قد يكون أفضل لها ولأبنائها..

١٩٩٨

امرأة وحيدة جدا

هي امرأة وحيدة في منتصف الثلاثينيات من العمر.. واحدة من ملايين النساء الوحيدات اللاتي أصبح يموج بهن المجتمع في حقبة التسعينيات.. امرأة تواجه حياة مليئة بالتيارات والقضايا المتعددة والجديد.. وربما يأتي علي قمتها مجتمع لم يعتد بعد علي تقدير حال امرأة تعيش بمفردها.. امرأة اضطرتها الظروف بعد انفصال زوجها عنها في سن مبكرة إلي أن تقطن وتحيا وتعمل وتعول نفسها.. وها هي تكمل مشوار الحياة بلا سند من رجل يشاركها أو يعاونها علي مواجهة تعقيدات الحياة العصرية.. وكانت أول مشكلة تواجهها هي إيجاد مسكن لها.. تعبت وبليت أحذيتها بحثًا عن شقة صغيرة في منطقة سكنية قريبة من مكان عملها بإحدى الشركات الخاصة بمصر الجديد.. وبعد عذاب طويل وجدت شقة صغيرة مكونة من حجرة وصالة في منطقة سكنية جديدة بمدينة نصر.. واستطاعت شيئًا فشيئًا أن تؤثثها في أضيق الحدود.. التقيت بها مصادفة لدى صديقة مشتركة بيننا.. ولا أدري لماذا وجدتني مشدودة إليها بخيوط خفية.. وعندما بدأت الفضفضة عن أحوالها.. فوجئت بأنني دخلت معها إلي مفردات عالم المرأة الوحيدة.. وعلمت من خلالها إن هناك عشرات الآلاف من السيدات الوحيدات في مصر الآن.. سيدات بلا عائل.. مطلقات.. أو أرامل. أو نساء متعلمات وعاملات لكنهن لم يتزوجن نظرا لارتفاع تكاليف الزواج.. وأزمة السكن.. وأزمة المواصلات.. وأزمة القيم في الشارع المصري.. وباختصار فإنني من خلال صداقتي الوليدة معها استطعت أن ألمس مشقة أن تكون المرأة وحيدة في مجتمعنا. بل وجدت إن الإحصائيات تقول إن نسبة النساء اللاتي تعولن أسرهن تصل إلي ٣٠%.. أي أن نسبة الأسر التي تعتمد علي صديقتي أن نفكر في إنشاء ناد "للمرأة الوحيدة" وذلك بعد أن وجدت أن نسبة المترددات منهن علي عيادات الأطباء النفسيين كبيرة جدا.. إنهن يفتقرن إلي الأمان.. وإلي المشاركة الاجتماعية، وإلي دفء العلاقات الإنسانية المطلوبة لتوازن الإنسان في ظل عصر صاروخي الإيقاع.. وهكذا بدأنا نفكر في جمع عدد من النساء في شكل مجموعة تلتقي علي المحبة.. وعلي المودة.. وعلي الانتماء بحيث يتفقن علي التعاون فيما بينهن علي مواجهة قسوة الحياة وظروفها المتغيرة.. ويجري الآن تشكيل أفراد هذه المجموعة التي قررت أن أكون فردا منها لعلها تصبح نواة لمجموعات أخرى تملأ المجتمع بدفء المحبة المفقودة بين النساء الآن.

١٩٩٨

المرأة والعمل

التقيت بصديقتي العزيزة "س. أ" أخيرا وهي ساهمة واجمة وتبدو على تقاسيم وجهها علامات الانكسار. كانت نموذجا للاستقرار بيننا نحن صديقات الدراسة ورحلة العمر.. اكتفت بدورها كزوجة سعيدة وربة أسرة مستقرة وأم لبنتين في جمال الزهور منذ أن طالبها زوجها بألا تعمل، وأن تتفرغ للبيت وله. بدت هي هانئة بدورها هذا، خاصة وهي تتأبط ذراعه في حفلات الاستقبال.. فلقد استطاع بفضل مساندتها وتحملها لمسئولية الأسرة في أثناء انشغاله بعمله أن يكون رجل أعمال مرموق وصاحب مصنع كبير للأجهزة الكهربائية.

كانت دائما تقول لي: أنت اخترت الأصعب.. طريق العمل شاق وطويل.. أما أنا فلا أستطيع أن أتحمل ما تتحملينه في مجال عملك. لكن يكفينا أنك تقومين بدلاً منا بالدفاع عن قضايا المرأة والحصول علي حقوقها.. أنت تقومين بما لا أستطيع القيام به.

أما أنا فكنت أقول لها لا بل تستطيعين ما دمتِ تملكين الذكاء والطاقة فلتساعدي مجتمعك بأي جهد ولو كان صغيرا. لكنها كانت تهز رأسها.. وتكتفي بأنها زوجة ناجحة.. ولكن ها هو القدر يتدخل لينتزع منها استقرارها.. إذ يتوفى زوجها فجأة مصابا بسكتة قلبية مفاجئة من فرط الإرهاق الشديد تاركًا إياها بمفردها مع بنتين في عمر الزهور.. قالت صديقتي وهي غارقة في محيط من اليأس ليتني كنت التحقت بالعمل معه في المصنع.. أو بأي عمل آخر لكنت الآن في وضع أفضل من هذا.. ولما تسلط علي أهل زوجي وعلى ابنتي وقاموا بمنعي من دخول مصنع زوجي، ومعرفة أسرار عمله بدعوى أنني لست خبيرة بمجال العمل ولا بمقتضيات السوق.. قلت لها: لا يهم أنك لم تعملي فبإمكانك أن تقيمي مشروعا خاصا بك حتى لو كان صغيرا فإنه سيغنيك عن سؤال الغير. إن هذا ممكن ما دمتِ تملكين العقل والإرادة.. رفعت صديقتي رأسها وقالت: معك حق.. إن المرأة العصرية ينبغي أن تكون طاقة عاملة في مجتمعها وعنصرا فعلاً في دخل أسرتها مهما كان الدور صغيرا، وهكذا نزلت صديقتي "س" إلى ميدان العمل وقررت أن تفتح محلاً خاصا بها لبيع الزهور الصناعية، كما قررت أن تنضم لإحدى الجمعيات النسائية للمشاركة في عجلة التنمية والتطوير، وحين رأيتها آخر مرة كانت قد غادرتها الأحزان، وبدت مسحة من نور على وجهها.. وكأن العمل قد فتح لها فجأة أبواب مرحلة جديدة من عمرها أكثر بهاء ونجاحا..

١٩٩٨

أساس جديد لعلاقة المرأة والرجل

فجأة قررت أن تطلب الطلاق من زوجها بعد حياة زوجية استمرت ٢٥عاما.. بينما قرر هو ألا يجيبها إلى طلبها هذا.. وما تزال المشكلة بين الزوجين معلقة منذ شهور.. والجميع من حولها في حالة دهشة، ونحاول نحن أصدقاؤهما أن نلم شمل هذه الأسرة التي تضم ابنتين في سن الزواج.. ولكن لماذا طلبت الزوجة الانفصال بعد حياة زوجية طويلة كان فيها الزوج يمارس مغامراته النسائية، وكانت هي تتحمل وتصبر ولا تنفجر وكأنها لا تعرف؟ ولماذا لم تطلب الانفصال من قبل؟ وهل يمكن إصلاح الحال بين هذين الزوجين؟ وما سبب هذا الخلل المفاجئ في علاقتهما؟

كل هذه التساؤلات طرحناها معا كصديقات مقربات إلي الزوجة في جلسة ودية معها، والحقيقة التي توصلت إليها هي وجود خلل واضح في أساس العلاقة بين الرجل والمرأة في مجتمعنا الحديث، فالرجل ينشأ على مفهوم خاطئ للرجولة، حيث تعني القوة والسيادة والقيادة والحرية المطلقة في أن يفعل ما يشاء.. أما المرأة ففي كل هذا مطلوب منها الطاعة، والصبر علي المكاره وقوة التحمل والعطاء والتضحية.. وكل هذه معانٍ جميلة تنشأ عليها البنت المصرية منذ نعومة أظفارها، فتصبح أمرا عاديا بالنسبة لها.. بينما في المقابل لا تطلب من الرجل الشرقي هذه القيم النبيلة كالعطاء والتضحية أو قوة التحمل.. الخ.. ولهذا فمطلوب أن تفصح المرأة العصرية دائما عما يضايقها من رجلها، وعما يسعدها وأن يتفقا علي المفهوم الصحيح للرجولة والأنوثة.. وستصبح العلاقة الزوجية علاقة عصرية تلائم مقتضيات العصر الحديث وتغيراته، لتصبح الأسرة أكثر استقرارا عما هي الآن عليه من حالات انفصال متعددة، ومن مشاكل وأزمات انتشرت في السنوات الأخيرة في العلاقة بين الرجل والمرأة، حتى أصبح الاستقرار العائلي وكأنه هو الاستثناء.

١٩٩٨

رجل وزوجتان

قد لا يصدق البعض هذه القصة، لكن أبطالها يعيشون بيننـا ومثلهـا كثيـرون، ويفكرون بذات مفاهيمهم البالية.. ورغم كل التطور الاجتماعي والتكنولوجي من حولنا إلا أن الكثيرين ما تزال تحركهم مفاهيم عتيقة توجه سلوكياتهم.. وأفكارهم.. ولابـد أن أبـدأ ببساطة من العشرين.. أنهم رجل وزوجتان.. أما المسألة فتبدأ حينما باع الرجل أرضـه فصار فجأة ثريا ومرغوبا من النساء.. وكأنما الحياة أعطته الثراء لتختبر سلوكياته.. فمـا هو يحقق أخيرا حلمه في أن يكون نسخة جديدة من "سي السيد" القابع بداخله منذ زمـن، ولكن الإمكانات والظروف لم تتح له تحقيقه، صار مراهقًا وهو في الخمسين من عمره.. وهكذا تزوج من صديقتي بعد أن تعرفا لمدة شهرين.. بثها خلالها أجمل عبارات الحـب والهيام، وأغدق عليها أفخر أنواع الهدايا والمجوهرات والعطور، ثم فجأة قرر أن يـسير في ذات اتجاه بطله المغوار "سي السيد" فتزوج بامرأة أخرى بعد ثلاثة شهور فقـط مـن زواجه من الأولى.. وهكذا صار زوجا لامرأتين في نفس الوقت.. أما أنا فقد ظللت فـي حالة دهشة منذ علمي بالخبر وحتى الآن.. فكلتا المرأتين لم تتذمر علي وجود أخرى فـي حياته.. ولم تتركه أي منهما.. ولم تثر أي منهما لكرامتها أو لكبريائها.. وهكـذا فـإنني عندما التقيت بصديقتي وهي الزوجة الأولي قررت أن أسألها عن حقيقة أحوالهـا.. فأنـا أعلم أنها حريصة علي راحته وعلى الإشراف علي كل شئونه.. فلماذا تزوج عليها؟ ومـا موقفها؟ ولكنني وجدتها مستسلمة لوضعها العجيب.. بل اعترفت لي قائلة "ضل راجل ولا ضل حيطة" ولا كيان للمرأة بدون رجلها.. ولن أتخلى عنه إلا إذا طلقني هو.. وعبارات كلها رضا عنه وقبول للأمر الواقع مادام يلبي متطلباتها واحتياجات بيتها.. وهكذا تبينـت الحقيقة وتيقنت أن بعض النساء قد ترتدين أحدث الموديلات العصرية، وقد ترددن أقـوى الشعارات التقدمية، ولكنهن في الأعماق يعشن بعقلية الست "أمينة" زوجة "سي السيد" الذي يرتع بيننا ويحيا ببطولاته الوهمية القديمة، وبمفاهيمه الخاطئة للرجولة، وما دامت "أمينة" تعيش بيننا فلا بد أن يظل "سي السيد" أيضا مسيطرا علي قدرها.

١٩٩٨

المفهوم العصري للجمال

نحن نقف علي أعتاب قرن جديد يشهد تغييرات كبرى في الرؤى والمفاهيم والمعطيات.. يأتي علي رأس هذه التغييرات وضع المرأة وضرورة الاهتمام بشئونها وبقضاياها وبأحوالها ككل.. ولقد تطور وضعها الاجتماعي والسياسي والمهني فقفزت خلال التسعينيات قفزات حضارية هائلة في كل المجالات. وتدخل العلم الحديث ليجعلها أكثر جمالاً ورشاقة.. وصاحب هذا التغيير في وضعها وشكلها تغير أيضا في مفهوم الجمال.. فلم تعد المرأة ذات الجمال الخارجي الصارخ هي المرأة الجميلة.. بل أصبح هناك مفهوم عصري للجمال يتمثل في اجتماع عدة عناصر أساسية مهمة مثل النجاح في الحياة العامة والعطاء للمجتمع والثقافة.. وتميز الشخصية.. هذا إلي جانب ضرورة الاهتمام بالأناقة والمظهر الخارجي للمرأة.. فنرى مثلاً الأميرة الراحلة ديانا التي لم تكن أجمل النساء بالمقاييس العادية، ولكن زادها جمالاً عطاؤها الإنساني فلقد رأست ٢٢٢ مؤسسة خيرية لمساعدة الفقراء والمرضي، فقدمت نموذجا جديدا للجمال العصري.. عارضة الأزياء العالمية الأكثر شهرة.. كلوديا شيفر هي سيدة أعمال ناجحة، ولكنها أيضا تشارك في عروض الأزياء المقامة لصالح الخير.. نجمة السينما الأمريكية شارون ستون (٨ ملايين دولار عن الفيلم الواحد) أصبحت تشارك في جمع التبرعات لمرضى الإيدز..
فأين المرأة الشرقية من هذا المفهوم العصري للجمال؟؟ أعتقد أن علينا أن نعيد التفكير في مفهوم الجمال كما نعرفه في مجتمعاتنا الشرقية.. فما زالت الأسرة المصرية حتى هذه اللحظة تربي البنت المصرية منذ نعومة أظفارها علي الاهتمام بجمالها الخارجي باعتبارها المفتاح الذهبي للباب الزواج.. ثم تغفل الأسرة أن تضيف العناصر الأخرى المكملة له التي تصل بالبنت إلي مفهوم الجمال الذي لم يعد يكتفي بجمال الشكل فقط في تقييمه للمرأة.. بل صارت تجذبه وتنال إعجابه عناصر أخرى أساسية مثل الذكاء والثقافة والقدرة علي تحمل المسئولية والمشاركة الإيجابية في الحياة والروح المرحة والعطاء في جميع المجالات.. بدءا من البيت والأطفال والأسرة والعمل والأصدقاء ومن ثم المجتمع
لقد أصبحت المرأة الناجحة أكثر جاذبية للرجل الشرقي من المرأة التي تعتمد علي جمال شكلها فقط فيا أيتها المرأة الشرقية حاولي أن تنظري إلي المفهوم الكامل للجمال.. واحرصي منذ الآن علي العناية بالعنصرين معا الشكل والموضوع.. لتكوني أجمل نساء الدنيا.

١٩٩٩

جرائم الاغتصاب والمحاكمات السريعة

لا حديث للناس في البيوت المصرية الآن إلا عن جرائم الاغتصاب وتزايدها في الآونة والأخيرة.. حالة خوف تجتاح البيوت وتطالب بإيجاد حل لهذه الجرائم الشنعاء التي تروع البيوت الآمنة التي لم تصب مجتمعنا بهذه النسبة العالية من قبل، ولذلك فإننا نطالب الدولة بأن تتبع نفس الأسلوب في هذه القضية الملحة والعاجلة، كما اتبعته مع جرائم الإرهاب.. لقد استطاعت الدولة أن تحصر عمليات الإرهاب، وتزيل ما عانته مصر من ألم من جرائها، حيث لم تترك أحدا إلا ومسته في بيته أو رزقه أو عمله، وذلك حين قررت الدولة إحالة القضايا الإرهابية الكبيرة التي شكلت خطورة على الأمن الاجتماعي والاقتصادي لمصر إلي محاكم عسكرية توافرت فيها جميع الشروط الصحيحة للقضاء، فلم تستمر أية قضية أكثر من شهرين، مما كان له أثر مباشر في انحسار العمليات الإرهابية، كما رأينا أيضا كيف أدى الردع السريع في الجزاء في تلك العمليات إلي تقليصها.. وانحسارها..

وكذلك الأمر في قضايا الاغتصاب وخطف الإناث، فإنها أيضا قضية تمس الأمن الاجتماعي، وتتطلب أيضا علاجا سريعا وفوريا حتى لا تستشري، وحتى تتوقف تماما، ولهذا فإننا نريد من الدولة أن توقع العقاب السريع والرادع علي جرائم الاغتصاب؛ حتى يفكر أي شخص ألف مرة قبل الإقدام عليها، أو حتى التفكير فيها، إن مثل هذا الشخص المنحرف أو المريض نفسيا هو جرثومة لابد من استئصالها، ولابد من إيجاد وسيلة لجعل مثل هذا المنحرف عبرة لكل من تسول له نفسه أن يعتدي على ابنة أو أخت أو أم مصرية.

ولا بد أن نعترف بأن مثل هذه الجريمة الشنعاء قد تزايدت في الآونة الأخيرة، لأسباب متعددة لابد من علاجها ولابد أن نعترف أيضا بأنها قد شملت جميع مراحل العمر فلم ترحم طفلة في الثالثة من عمرها أو ممرضة خرجت لتعول أسرتها، أو أستاذة جامعية تؤدي رسالة نبيلة للمجتمع، أو طالبة خرجت لتلقي العلم، بل للأسف شاء القدر أن يضع في طريق النساء وحوشًا آدمية لا ترحم ولا تتراجع حتى الآن.. صحيح أننا لابد أن نُحيي المستشار فاروق سيف النصر وزير العدل علي إلغاء المادة التي تنص علي براءة من يتزوج من الضحية.

وأيضا تمكن رجال الأمن من إلقاء القبض علي الجناة في عدد كبير مـن جـرائم الاغتصاب، ولكن لا بد من أن تصبح قضية اغتصاب النساء في أولوية اهتمامات جميـع أجهزة الدولة المعنية.

ولذلك فإننا نطالب الدولة بمحاكمات فورية وعاجلة لمثل هذه الجرائم، كما نطالب أيضا بالمزيد من الأمن في الشارع ليلاً ونهار وفي وسائل المواصلات مثل (الميكروباصات بالذات).

ونطالب بدراسة أسباب هذه الجريمة حتى نستأصلها من الجذور.. وحتى يعود للشارع المصري أمانة.. ويعود للبيت المصري أمنه.

١٩٩٩

الصداقة المفقودة

يبدو أن عصر الصداقة الأصيلة قد ولى ليصبح وكأنه ذكرى من ملامح زمن قديم، فلقد ألقت طبيعة عصرنا بظلالها على كل شيء من حولنا حتى العلاقات المتينة تأثرت واهتزت، ووقعت في براثن التغير والتبدل والضياع.. أصبحت العلاقات بين الأصدقاء حتى الأصيلة منها تتلون بتغير المصالح بين الناس تماما، كما حدث مؤخرا بين صديقتين لي من أقرب صديقات الطفولة والصبا إلي قلبي.. حيث وقفت أحاول رأب الصدع بينهما بسبب خلاف حول المصالح بين زوجيهما ولكن بلا جدوى.. فوجئت بصدقتي الأولي تبكي لابتعاد صديقتها عنها منذ نشوب الخلاف بين الزوجين.. أما الثانية فراحت تسرد لي قائمة من الأسباب عن ابتعادها عن صديقتي الأولي وعلى رأسها إلحاح زوجها عليها في أن تبتعد عنها ريثما يتم حسم المسألة المالية المعلقة بين الرجلين.. وقفت أرقب كلا من المرأتين فوجدت المسافة تتسع بينهما شيئًا فشيئًا، حتى أصبحت فجوة يصعب حلها.. وتساءلت مندهشة بيني وبين نفسي.. هل إلي هذا الحد السافر أصبح قانون المصلحة يحرك حتى أجمل العلاقات الإنسانية وأنقاها؟؟ وإلي هذا الحد صار البشر عبيدا لمصالحهم.. ووضعوا المشاعر الجميلة الأصيلة التي لا غنى للإنسان عنها للتغلب علي قسوة هذا العصر صاروخي السرعة في أعماق كهوف النسيان؟ ولكن ما طمأنني قليلاً أنني وجدت صديقتي الأولي حزينة باكية تذرف الدموع علي قسوة صديقتها مما يدل على أن هناك من الناس من يقاومون التحجر، والتحول إلي آلات صماء جامدة بلا مشاعر.. هؤلاء هم الأمل في أن الإنسان لن يتحول إلي آلة أو إلي حجر أصم لا يحس ولا يشعر.. ربتت على كتف صديقتي الباكية.. وقلت لها: "لا تبك. فصديقتنا الضائعة تلك لا تستحق كل هذه الدموع.. إنها تستحق الرثاء.. لأنها لن تحس بخسارة فقدها للصداقة في هذا الزمن المتغير إلا بعد فوات الأوان.. حين تنقلب عليها الأيام القادمة فتبحث عن دفء صديقة تشد من أزرها وتمسح دموعها وتساندها.. فلا تجدها".

ويا أيتها المرأة العصرية لا تفقدي مشاعرك الجميلة تحت وطأة زمن المصلحة، أيا كانت الظروف من حولك.. وحاولي أن تحتفظي بمساحة من البراءة والنقاء بداخلك.. حاولي أن تحتفظي بطاقة حب مضيئة حتى لا تنطفئ الإنسانية بداخلك، فتتحولين إلي آلة صماء قبيحة بلا جمال وبلا روح.

١٩٩٨

المرأة ونظرة أخرى لقضاياها

منذ أن نشرت اقتراحي مطالبة بإنشاء هيئة أو وزارة لشئون المرأة.. وأنا أواجه العديد من ردود الأفعال المتباينة والمختلفة.. بعضها يؤيد.. وبعضها يعارض.. وبعضها يطرح معاناته وبعضها يرى أن الحال أفضل ما يكون وبعضها يدلي باقتراحاته، وكل الآراء للحقيقة جديرة بالاهتمام والرعاية، لأنها تعكس قبل كل شيء حال المجتمع، وتباين تياراته وتناقضات ردود أفعال مما يجعلني أعود إلي نقطة البدء، فأؤكد رأيي المطالب بإنشاء هيئة مسئولة عن شئون المرأة المصرية، لأنها أشد ما تكون حاجة إلى الرعاية وإلى رؤية جديدة لأحوالها ومشاكلها الاجتماعية والاقتصادية والنفسية المتفاقمة خلال العقد الأخير، نتيجة للتغيرات التي واجهها المجتمع في شتي المجالات.

ومن هنا فإنني أطالب بحلول عاجلة لهذه المشاكل التي لم تواجه مثلهـا الأجيـال السابقة لنا مثل: غلاء المعيشة، وتأخر سن الزواج، وتعدد الزوجات، وانتـشار الطـلاق، وضيق فرص العمل، والزواج العرفي وغيرها من القضايا الخاصة بنـصف المجتمـع، والتي ينبغي ألا تترك بدون حلول.. إحدى هذه الرسائل من محمد ميلاد (المحامي) يقـدم فيها اقتراحا إيجابيا نابعا من تعاطف واضح من أحوال النساء في وطننا فيقـول: "أتفـق معك تماما في أن الأمر يتطلب حلولاً عاجلة.. وأهم هذه الحلول في رأيي يتمثل في إنشاء جهات محددة تقوم بالعمل علي حل المشاكل الأسرية من خلال الوساطة العاقلة، بالإضافة إلي رفع مستوي المرأة التعليمي وتغيير الفكر السائد بصدد متطلبات الزواج ومـشكلاته، لما له من مردود خطير علي المجتمع".

وأنا أتفق مع القارئ في أن مثل هذه الحلول التي طالب بها ضرورية وعاجلة، بل إنه تم تطبيقها في دول متقدمة كالولايات المتحدة مثلاً.. إذ نجد بها مراكـز متخصـصة وجمعيات خاصة، مهمتها رعاية المرأة ومساعدتها في مسيرة حياتها.. مثل مركز تطوير التعليم الذي التقيت ببعض عضواته أثناء زيارة لهن إلي مصر – وهو مركز تعمل فيـه مجموعة من الخبيرات في مختلف المجالات القانونية والتعليمية والنفسية.. أما الهدف من إنشائه هو مساعدة المرأة على تدبير شئون حياتها وعلى التعليم والعمل والاستقرار النفسي والاقتصادي، كما يقدم المشورة القانونية.. ويعمل علي حل المشاكل الزوجية والأسرية.. وأحيانا يقدم الدعم المادي في الحالات الحرجة.

أما الأديب الزميل أسامة الألفي فيرى علي العكس تماما أن المـرأة ليـست فـي حاجة إلى معاونة.. فيقول في رسالته: "إن الإسلام قد أقر للمرأة ما يكفـي ويزيـد مـن

الحقوق ويرى أن النساء قد حققن المساواة، وليس هناك ما يطالبن به.. بل إن الرجال هم الذين ينبغي أن يطالبوا بالمساواة، كنتيجة لما تنشره صفحات الحـوادث" وهنـا أتوقـف لأسأل: أليس فيما تعكسه صفحات الحوادث من أحداث عنف.. واغتصاب.. وانحـراف.. دليلاً حيا علي أن ثمة خللاً في المجتمع ينبغي تأمله؟! أليس ما نراه كل يوم من حـالات انفصال وطلاق وتأخر سن الزواج وتعدد الزوجات وضعا يستدعي الدراسة والمواجهة؟. وإذا ما انتقلنا إلي محاكم الأحوال الشخصية فسنرى مشاكل مجتمعنا علي حقيقته.

١٩٩٩

ثورة يوليو والمرأة

لم تحصل المرأة على حقوقها السياسية والاجتماعية علي طبق من فضة.. إنما كان ذلك نتيجة جهد ونضال ودماء أريقت، وحصيلة مشاركة فعالة في قضايا الوطن، وفي مسيرة استقلاله وتحرره، وإذا كان حصول المرأة علي أول حقوقها السياسية قد تم بعد ثورة يوليو، وذلك عام ١٩٥٦ حين حصلت علي حق التصويت لأول مرة في تاريخها، فإن حصولها علي أول حقوقها الاجتماعية قد تم بعد ثورة ١٩١٩ حين صدر أول قانون للأحوال الشخصية في عام ١٩٢٩ وكل هذا نتيجة مشاركتها كشريك أساسي في الثورتين جنبا إلي جنب مع الرجل، مما دفعها للمطالبة بالمساواة.

وحين نحتفل اليوم بمرور ٤٧ عاما علي قيام ثورة ٢٣ يوليو فلا بد أن نذكر أن حركة تحرير المرأة بقيادة مناضلات عظيمات مثل هدى شعراوي وسيزا نبراوي ودرية شفيق وأمينة السعيد، قد أسفرت في النهاية عن مشاركة فعلية في الحياة النيابية، وكذلك علي يد رجال آمنوا بأهمية دور المرأة مثل سعد زغلول، وقاسم أمين وطه حسين وغيرهم، ورغم أن حق التصويت للمرأة قد كان دائما أساسيا بعد ثورة ١٩١٩ فإن دستور١٩٢٤ لم يتضمن هذا الحق، ولكنه في الوقت نفسه لم يمنع النساء من تأدية دورهن الثوري، إلي أن جاءت ثورة يوليو فأشعلت إرادة التغيير مرة أخرى بداخل المجتمع. وكان أن قامت مجموعة من المناضلات بقيادة درية شفيق بالإضراب عن الطعام حتى الموت، إلي أن تستجيب حكومة الثورة لمطالبهن في إعطاء المرأة حق التصويت، أسوة بالرجل، وهنا استجاب رئيس الجمهورية حينذاك محمد نجيب، ووعد بإدراج مادة بذلك في الدستور الجديد الذي كانت تجري صياغته، وبالفعل تم تنفيذ ذلك فيعهد الرئيس جمال عبد الناصر في دستور عام ١٩٥٦ وهكذا بدأت مشاركة المرأة في الحياة النيابية لأول مرة في تاريخها، فتم انتخاب سيدتين هما: راوية عطية وأمنية شكري في عام ١٩٧٥ في مجلس الأمة ثم عين جمال عبد الناصر أول وزيرة، وهي حكمت أبو زيد للشئون الاجتماعية في عام ١٩٦٢ ثم جاء عهد الرئيس محمد أنور السادات لتحدث قفزة جديدة فتم تعيين أول سفيرة لمصر هي د. عائشة راتب في عام ١٩٧٩ كما صدر قانون جديد للأحوال الشخصية، كذلك عين السادات سبع سيدات في مجلس الشورى في عام ١٩٨٠ ثم تعيين المرأة في وزارات أخرى غير وزارة الشئون الاجتماعية، كالاقتصاد والبيئة، كما تشكلت لجنة للمرأة بقيادة السيدة سوزان مبارك لتعطي لحركة المرأة دفعة كبيرة في كل المجالات واليوم، ونحن نحتفل بقيام ثورة يوليو، فإننا في أشد الحاجة إلي بعث روح

الثورة من جديد بداخل قلوب النساء والرجال، لننطلق نحو القرن المقبل بثبات حتى نصل إلي المساواة المنشودة في جميع المجالات.

١٩٩٩

قانون الأسرة والدورة الجديدة

في قراءة متأنية للقانون الجديد الخاص بـالأحوال الشخـصية، وجـدت نـصين مستحدثين لهما بُعد اجتماعي مهم لم ننتبه إلي أهميته ويستلزم المطالبة بسرعة إصدار هذا القانون في الدورة المقبلة لمجلس الشعب. أول هذين النصين هو أن دعوى الطلاق تجُـب الدعاوى الأخرى بحكم واحد، وللمحكمة الاستعانة بأخصائيين اجتماعيين من ذوي الكفاءة يصدر بهم قرار من وزير العدل، بناء على اقتراح من وزارة الشئون الاجتماعية، لبحـث جميع المنازعات المطروحة، مما يعني نقل القضاء المصري لأول مرة نقلة نوعية جديدة ذات بُعد اجتماعي وبشكل رسمي.. ومن أجل عدم إطالة مدة عمل الأخصائي الاجتماعي استلزم القانون أن يقدم تقريرا موسعا خلال فترة محددة للمحكمة.. أما الـنص الثـاني ذو البعد الاجتماعي المهم أيضا فهو النص على نظام تأميني للأسرة لـضمان تنفيـذ أحكـام النفقات.. وعلمت أنه ضمانًا لعدم التلاعب في تنفيذ هذا النظام التأميني الجديـد – فإنـه يجري حاليا الاتفاق بين وزارة العدل وبعض شركات التأمين، لوضع نظام يكون خليطًـا بين التكافل الاجتماعي والتأمين، بحيث يوضع نظام يكون خليطًا بين التكافل الاجتمـاعي والتأمين، بحيث يوضع نص التأمين عند إبرام وثيقة الزواج وبمقتـضاه تـؤمن الزوجـة والأبناء في حالة الطلاق أو الوفاة. أعتقد أن هذين النصين يـستحقان منـا تحيـة وزارة العدل، لأنهما ينظران بعين الرأفة والإنسانية إلي المرأة وإلى الأبناء في المقام الأول، لأن الهدف منهما عدم ضياع الأبناء عند حدوث الطلاق أو الوفاة، وذلك فـي حالـة تهـرب الزوج من دفع النفقة أو دفع مستحقات الزوجة أو الأبناء.. كذلك فإن النص الأول يجعـل من الأخصائي الاجتماعي وسيطًا للتأكد من دراسة جميع جوانب المـشكلة القائمـة بـين الزوجين، مما يتيح أمام القاضي نظرة إنسانية واجتماعية شاملة عند إصدار حكمه.. ولكن يبقى السؤال الآن ما هو رد فعل الرجل علي النص الخاص بالتأمين على الأسرة في حالة الطلاق أو الوفاة، أعتقد أن ذلك سيعود في المقام الأول إلي الإنسان في داخل كل رجل.. وإلي مدى رأفته وعطفه على المرأة وعلى الأبناء.. وبالتالي سيتوقف أمر دفـع الـنص الخاص بالتأمين على مدى استجابة الرجل.. وفي حالة عدم تسديد المبلغ الزهيـد، فـإنني أقترح أن تتولى المرأة دفعه، لأنها بذلك تؤمن علي نفسها من الضياع هي وأبنائهـا فـي حالة حدوث انفصال.. أنني آمل في سرعة إصدار قانون الأسرة الجديد في الدورة المقبلة لمجلس الشعب.. كما آمل في سرعة تنفيذ الأحكام الخاصة بالأسرة لأن كل يوم يمر بدون صدور الأحكام في مسائل الأحوال الشخصية معناه تهديد الأبناء بالضياع.

١٩٩٩

أطفال الحروب

في كل لحظة تطالعنا الشاشات بمآسٍ إنسانية مروعة يندى لها جبين البشرية، ويقشعر لها البدن، وكأن هذا القرن يأبى أن يغادرنا دون أن يرسي لنا مبدأ أساسيا لنفتتح به القرن الجديد، وهو مبدأ البقاء للأقوى باعتباره الوسيلة المثلى لحل الصراعات والمشاكل الدولية.. لقد عرف هذا القرن أعظم الاكتشافات العلمية والطبية والتكنولوجية، وشهدنا في السنوات الأخيرة ثورة الاتصالات التي استبشرنا بها خيرا وظننا أنها ستغير من وجه العالم، ليصبح قرية واحدة قائمة على مبادئ السلام والديمقراطية والحوار بين الحضارات.. ولكن ها هي حرب أخرى تفتح عيوننا علي الحقيقة المؤلمة فلم يعد السلام هو الأمل.. ولم تعد الديمقراطية سوى كلمة وهمية، وأصبح الحوار هو حوار المدافع والصواريخ والقنابل.. وها هي أبشع صور القتل والتعذيب تواجه أطفالاً لا حول لهم في معارك الكبار.. أطفال في فلسطين والعراق وكوسوفا والشيشان، لا ذنب لهم سوى أنهم ضحايا الصراعات الضارية والأطماع اللانهائية.. والمصالح المعلنة والخفية.. وبدلاً من أن يرسي القادة والزعماء في ظل النظام العالمي مبادئ إنسانية رفيعة، تكون أسلوبا لحل النزاعات والمشاكل في المستقبل، فإنهم علي العكس يغرسون - وبلا رحمة - بذرة خبيثة في نفوس الصغار أساسها الكراهية والعنف والحقد والتعصب والفزع.. وهي بذرة خبيثة ستنمو في داخلهم وتقوى، لتحولهم إلي قنابل موقوتة، تنفجر بدورها في وجه الآخرين. إن قمة المأساة الإنسانية الناجمة عن الحروب تتمثل في طفل صغير جميل الملامح طالعني وجهه علي الشاشة منذ أيام يقف علي حدود وطنه، مشردا مذعورا بلا حماية ولا مأوى، ووسط فيضان من دموعه قال: "قتلوا أمي وأبي.. ولكني أعرف شيئًا واحد فقط أعرف أنني سأعود يوما إلي بيتي" إن هذا الصغير المذعور هو الدليل الحي علي مأساة الحرب الحديثة. فسواء أكان هذا الطفل من أطفال كوسوفا المشردين أم من أطفال الحجارة في فلسطين.. أو من أطفال العراق البائسين فإنهم كلهم سيشبون وفي داخلهم أمل واحد، وهو العودة يوما إلي بيوتهم، وفي أعماقهم بذرة الانتقام ممن شردوهم ومن كل من نبذوهم.. أما الوسيلة التي تعلموها لتحقيق ذلك، فإنها العنف والقتل وسفك الدماء.. وهكذا تستمر دائرة الحرب ويستمر منطق "البقاء للأقوى". وهكذا ونحن نودع قرنًا ونتأهب لاستقبال قرن آخر.. يبدو أننا سنودع أيضا مبادئ غالية كالسلام والديمقراطية والحوار، والتي يصر بعض القادة والزعماء والكبار علي تجاهلها علي حساب الأطفال.

١٩٩٩

المراهقون وقضاياهم الملحة

ما هو حال المراهقين في بلادنا؟ هل وجدوا من يهتم بقضاياهم ويعبر عنهم؟! هل قدمنا لهم روشتة ناجحة للخلاص من مشكلاتهم وهواجسهم؟! هل استمعنا إليهم لنفهم ولنستفسر منهم عن أفكارهم وقضاياهم؟! هل فتحنا لهم عقولنا وقلوبنا ووضعناهم في أولوية اهتماماتنا؟!

هل استطعنا أن نقدم لهم عبر أجهزة الإعلام من يتحدث بلسانهم ويستمع إلي قضاياهم ويمد يده لهم ويطرح الحلول لعلاج توتراتهم؟! هل سألناهم لماذا أنتم رافضون ومتمردون وساخطون؟! لا أعتقد أننا فعلنا هذا حتى الآن علي الرغم مما طرأ علي المجتمعات الإنسانية من متغيرات اقتصادية وعلمية وسياسية وتكنولوجية في التسعينيات.

إن عالم المراهقة الذي يمتد من سن ١٣ إلي ١٨ عاما ملئ بالحقائق المضطربة المتصلة بهذه المرحلة، وثمة قاموس خاص تنفرد به حياة المراهقين مثل عدم الأمان، والبحث عن هوية والضغوط الأبوية، والعنف المحاصر لهم، والزحام المحيط بهم، وقبول الذات، والعلاقة مع الآخرين، وشلة الأصدقاء، والمناهج التعليمية المكدسة،وعدم وجود منافذ لطاقاتهم، والمدارس المزدحمة، والفضائيات المتعددة، والأنترنت، والكمبيوتر، والخوف من المستقبل، والتمرد علي التقاليد، والبحث عن دور، وعدم فهم الآخرين، كل هذه الحقائق من داخل عالمهم: ولو اقتربت من واحد منهم فتسجد أنه كتلة متأججة من الرفض، والتمرد، والتخبط والافتقار إلي الرؤية السليمة للأمور، إنها فترة معاناة في حاجة إلي رعاية خاصة من كل المجتمع، ومن الأسرة، والمدرسة، والنادي، وأجهزة الدولة ووسائل الإعلام، إننا حتى الآن لم نقدم لهم النموذج الذي يعبر عنهم، وكأنهم هوامش اجتماعية، وحتى الآن لم نقدم لهم صورة بطل جديد في مثل عمرهم يتعلقون به ويقودهم إلي طرق الخلاص الصحيحة من مشكلاتهم وقضاياهم، لا يوجد مغن شاب يعبر عن هواجسهم ويفرغون من خلال أغانيه ما يعتمل في صدورهم.. وهكذا يدورون في دوائر ودوامات كثيرة، ومتعددة مما قد يسلمهم إلي من يمد لهم طرق الخلاص السيئة أو المدمرة لكيانهم.. تارة باسم التحرر، وتارة باسم السعادة، وتارة باسم الدين، وتارة أخرى بدعوى إن القوة هي منطق العصر الحديث، وإن البقاء للأقوى وليس للأصلح: إن فترة المراهقة في التسعينيات تختلف عن أية حقبة أخرى من تاريخ البشرية: ومن هنا يجب رصد التغيرات العصرية التي نعيشها وإعادة صياغة مواجهتها بخطط متكاملة حتى لا يتحول هؤلاء المراهقون الجدد من طاقة لبناء المجتمع إلي قنابل للرفض وللتدمير: علينا

إعادة النظر في أساليب التعليم الحالية: وأساليب التربية التقليدية، وتحويل وسائل الإعـلام إلي مسارات جديدة تخاطب وجدان هذه المرحلة الحرجة من العمر لأنها محطة الانطلاق الأولي إلي المستقبل: هذا المستقبل الذي نريد أن نقتحمه برؤيـة جديـدة تتناسـب مـع المتغيرات الجديدة التي تمر بها المجتمعات الإنسانية، نحن فـي حاجـة إلـي الاهتمـام بالأنشطة الرياضية والفنية والاجتماعية لهؤلاء الصغار والكبار، وفي حاجة إلي دراسـة قضاياهم ومشكلاتهم لمواجهتها بشكل أفضل وأكثر فاعلية: ولنتعامل أولاً معهم باعتبارهم قاعدة الانطلاق إلي المستقبل.

١٩٩٩

الكمبيوتر يغزو بيتي

الكمبيوتر ساحر جديد داخل مقتحما ساحة بيتنا منذ بضعة أشهر ليقلبه فجأة رأسا علي عقب.. إذ قرر هذا الساحر الجديد الذي أصبح من سمات العصر الحديث ومن ضروريات المستقبل أن يضع يده علي ابني ذي الخمسة عشر عاما ويضمه إلي رعايا مدينته السحرية التي تموج بأسرار التكنولوجيا ومزايا العلم الحديث المليء بالعديد من الأزرار والمفاتيح والأسلاك والاسطوانات.. ولأن ابني ينتمي إلي جيل فتح عينيه علي عصر ثورة التكنولوجيا.. ولأن أطفال اليوم ليسوا أطفالا بل هم أطفال كبار يتعاملون مع سماوات مفتوحة ومعلومات متاحة في كل لحظة أمام عيونهم الصغيرة.. فهم وجدوا من حولهم الأقمار الصناعية والكمبيوتر والفيديو والتليفون المحمول والآلات الحديثة من كل لون وصنف وحجم.. ولأنهم علي درجة كبيرة من الوعي، لأن باستطاعتهم رؤية أي حدث يقع في أية بقعة من العالم لحظة وقوعه.. لذلك فإن طفل اليوم قد يسأل عن "أحداث الجزائر" وعن "حقوق الفلسطينيين" وعن "حرب الخليج" وقد يجلس ليري مباراة كرة قدم دولية.. أو يشاهد زلزالا وقع في الشرق الأقصى.. إنهم أطفال يشاهدون بأنفسهم ما يحدث حولهم.. في بلادنا أو في أي مكان آخر من العالم.. لم يعد طفل اليوم كطفل الأمس يكتفي بالعروسة أو بالكرة فها هو ابني ومنذ وصول الكمبيوتر يقبع في حجرته لساعات طويلة ملتصقًا بشاشته يحاول فك طلاسم لعبة جديدة من خلال شبكة الانترنت.. أو يستمع لاسطوانة ليزر مستمتعا بسعادة الاكتشاف ومدفوعا بغريزة حب الاستطلاع.. لقد سررت في بداية دخول الكمبيوتر إلي بيتنا باعتباره ضرورة من ضرورات العصر الحديث فإذا به يأخذ ابني مني.. لأنني إذا ما أردت أن أراه فلابد أن أجلس معه أمام شاشته السحرية وإذا حاولت أن أفهم ما يفعله أجده غارقًا في استخداماته المتعددة بل استولي "الانترنت" علي خط التليفون الوحيد في بيتنا حيث لابد من استخدام الشبكة من خلال خط تليفوني.. وهكذا جاء الكمبيوتر ليغير من وجه الحياة في بيتنا.. ووجدت أن علي مسئولية جديدة وهي ترشيد أوقات استخدامه حتى لا يلتهم قدرة ولدي علي التفكير والتأمل والإبداع.. وحتى لا تلتهم شبكة الانترنت ميزانية منزلنا عن أخرها.. وقبل كل هذا كان علي أن أبدأ في تعلمه باعتباره من ضروريات العصر فيا أيها الساحر الجديد مرحبا بك في بيتنا لكن بشرط ألا تلتهم قدرتنا علي التفكير والإبداع والقراءة ولهذا فإنني سأضع خطة ذكية لترشيد استخدامك فورا وبأقصى سرعة ممكنة.

١٩٩٨

ابني.. صديقي

الآن ونحن في نهاية قرن يؤذن بالرحيل ونحن نقف علي أعتاب قرن جديد يطل علينا بمتغيرات هائلة لم تكن في الحسبان..وتغيرات علمية وإنسانية وسياسية واقتصادية.. تشبه عملية المخاض التي تبشر بميلاد جديد.. علينا أن نمعن التأمل والنظر ونتوقف لنرصد أهم تلك المتغيرات وأقصد بذلك المتغيرات الإنسانية.. لقد تغير وجه العلاقات الإنسانية بين البشر فأصبحت العلاقات تأخذ أشكالاً جديدة ومعان جديدة وتركيبات جديدة ولعل أهم تلك المتغيرات التي يجب أن نتوقف لنفكر فيها هي العلاقات الأسرية أي العلاقة بين المرأة والرجل والعلاقة بين الآباء والأبناء.. وسوف أتناول العلاقة بين الأبناء والآباء أولاً لأنها في رأيي تحتاج منا إلي بعض التأمل وبعض التغيير. أقول هذا لأنني في الآونة الأخيرة قدر لي أن ألتقي وأتحاور مع عدد كبير من الفتيان في مقتبل سن المراهقة فيما بين الخامسة عشر وحتى سن العشرين..

اقتربت منهم بقصد التعرف علي تفكيرهم..فوجدت تباينا كبيرا عما كنا عليه في هذا العمر وما هم عليه الآن.. اكتشفت شبابا واعيا يتكلم في كل أمور الحياة بحرية وبجرأة ويعلم أكثر مما نعتقد.

- قال لي شاب في السادسة عشرة أريد من أبي أن يصبح صديقي وأن يعطيني الحرية.. وأن يعطيني المسئولية معها.
- أريد من أمي أن تكون قريبة من تفكيري ولا تبتعد عن أسلوب تفكير جيلنا.. ولا تتحول علاقتهما بي إلي مجرد أوامر ونصائح موجهة منهم إلي فقط.. أريد أن يستمعا لي وأن يعطياني بعض وقتهما لأنني في حجة إليهما كصديقين وليس كسيوف مسلطة علي".
- شاب آخر في السادسة عشرة من عمره وجدته يدخن سجائر بدون علم أهله ظنًا منه أنه قد صار ناضجا وكبيرا ولأنني أعرف أمه فسألتها: "هل تعرفين إن كان ابنك دخن سجائر أم لا؟" قالت لي: لا أعتقد ذلك ابني لا يدخن فهو مهذب ولا يعرف هذه الأشياء".

قالت لها: اقتربي منه أكثر إنه في حاجة لأن تتحدثي معه.. وأن تتدخلي في أسراره دون أوامر مباشرة لتعرفي كل ممارساته أمامك ومن وراء ظهرك.

- شاب آخر: وجدته يتفوه بألفاظ نابية رغم أني أعرف أبويه ومقدار ما تكبدا من تضحيات لينفقا عليه ليكون في أفضل مدرسة.. وأيضا ليدعم

نفسه بالدروس الخصوصية ليتفوق هذا لعام فهو في الثانوية العامة وهي أصعب سنة دراسية وجدته عصبيا يدخن بشراهة ويتلفظ وسط أصدقائه بأسلوب غير مهذب.

ولما اقتربت منه لأعاتبه علي الكلمات الخارجة عن المألوف التي يستخدمها وكان يجلس وسط مجموعة من أصدقائه من نفس عمره في النادي.. أجابني بأن لغـة معظـم الشباب قد تغيرت.. وأن قاموس كلماتهم لم يعد القاموس الغابر الذي كنا نستخدمه.. حيث كنا نوجه كلامنا لمن هم أكبر منا سنا.. بقول "حضرتك" أو كنا نهم بالوقوف إذا ما دخـل من هو أكبر منا سنا إلي نفس مجلسنا.. قال لي شاب: "يـا طـنط هـذه أبـسط كلمـات نستخدمها ألم تشاهدي التليفزيون والسينما.. وتري المسرح؟".

إننا نستخدم أبسط الكلمات إذا ما قيست باللغـة الخارجـة المـستخدمة الآن فـي وسائل الإعلام.

هذا بعض ما لاحظته من تطور في نظرة الشباب إلي الرجولة حيـث أصـبحت تعني القوة في استخدام الألفاظ والتباهي والعضلات وعدم احترم الكبير.

أما بالنسبة للإلمام بالمعرفة فإن الشباب ينظر إلي الكبار بتشكك فيه يقولونه.. فلم يعد ما يقوله الواحد هو "كل الحقيقة" ولم يعد العالم هو القدوة أو المثل الأعلي حيث يـراه ابنه مرهقًا ومتعبا ومشتتا في عمله وسط ضغوط الحياة.. وحين يتحدث الوالد أمامه فإنـه يتحدث عن مشاكل الحياة والمصالح التي أصبحت السمة الغالبة في علاقات اليوم والجميع يؤكد أمامه أن المال قد أصبح هو المحرك الأول للإنسان وهو الهدف الذي يـسعي وراءه الجميع.. فإذا ما نظر الأولاد إلي التليفزيون وجدوا سموما وجرائم وعنفا يبث من خـلال الأفلام والمسلسلات ولا ننتقي المسئولون عن أجهزة الإعلام بدقة المواد التي تحرض علي القيم الأخلاقية، وعلي قيمة العمل والكفاح والمثابرة في الحياة وعلي أهمية طهـارة اليـد والأمانة في كل ما يؤديه الإنسان.. بل نري أحيانا قيم الخير تهزم أمام قوي الشر.. ونري الشرير وسيما.. والطيب فقيرا ومعدما.. وأصبح النجوم الذين تسلط عليهم الأضواء معظم الأحيان هم نجوم الرخص والغناء والتمثيل.. أو نجوم الكرة.

وهذا يتماشي مع الميول العامة ولا غبار علي ذلك ولكن ينبغي أيـضا أن نركـز للشباب الذي ما يزال يتفتح علي الحياة وما يزال عجينة هشة قابلة للتشكيل.. والذي يصل إلي ٥٠% من تعداد العالم العربي.. ينبغي أن نركز لهم علي أبطال جدد مثل المفكـرين والكتاب والعلماء والمهندسين والأطباء والمخترعين وأيضا كل الناجحين فـي مـواقعهم

البعيدة والذين تتجاهلهم وسائل الإعلام ولا تبحث عنهم لتقدمهم كقـدوة الناجحـات فـي مواقعهن في كل مكان لنقدمهن كنماذج وكقدوة للأجيال الجديدة.

إن تكريس معظم ساعات الإرسال التليفزيوني وبالذات هذا الجهاز السحري الذي يؤثر في تشكيل وجدان قطاع كبير من تعداد العالم العربي وبخاصة الشباب لإرسال أفلام رديئة بلا قيم هادفة أو مسلسلات سطحية لا تحض علي الأخلاق والفضيلة لهـو عيـب خطير ينبغي تداركه والعمل علي تغييره فورا ووضع إستراتيجية مدروسة تهـدف إلـي إعلاء شأن القيم والتركيز علي سن الشباب مع مراعاة بث القيم لهم من خلالها والبحـث عن أعمال فنية جيدة تتوجه لهذا العمر الخطير الذي يتركز في سنوات المراهقة فيما بين الثالثة عشرة والواحد والعشرين حيث لا توجد برامج أو أعمال فنية ناجحة تتناسـب مـع هذا العمر.. أو تناسب ميولهم وتشد انتباههم لما هو نافع وبناء لأوطانهم.

قال لي ولدي محمد البالغ من العمر الخامسة عشرة والذي يهوي مشاهدة الأفـلام والمسلسلات الأجنبية لأنها كما يقول تقدم لعمرنا أعمالا كثيرة ومتنوعة بعكس الأعمـال العربية التي تقدم لنا في وسائل الإعلام وفي السينما والمسرح باستثناء بعض أفلام عـادل إمام "مثلاً.. قال لي: أتمنى أن يفهم المسئولون عن أجهزة الإعلام والفـن أننـا نواكـب التطور العالمي ونريد أن نري أعمالاً تقدر عقولنا وتخاطـب فكرنـا وتجـذب انتباهنـا لنشاهدها علي شاشتنا.

وفي جلسة أخرى معـه حيـث أحـرص علـي وصـل خـيط الحـوار بيننـا باستمرار..وجدته يقول لي: إننا نعيش عصر الدش والانترنت ونستطيع أن نحصل علـي المعلومة الحقيقية الآن.. أتمنى من كل الآباء أن يقولوا الحقيقـة لأبنـائهم.. وأن يكونـوا أصدقاء لهم.. كثير من أصدقائي يعانون من بعد أبائهم عنهم وغرقهم في مشاكل عملهـم وأيضا بعد أمهاتهم عن تفكيرهم لكثرة مشاغل المرأة العصرية.

قلت له: معك حق يا ولدي.. فلم يعد شباب اليوم كما كنا بالأمس لقـد أصـبحتم كبارا قبل الأوان.

لذلك فإنني أرجو فقط منك أن تقبل صداقتي منذ الآن.. أريد أن أصبح صـديقتك فهل توافق.

ابتسم ولدي: وقال لي: أوافق ولكن بشط أن تتركي لي الحرية في مناقشتك بقلب مفتوح.. وبلا حرج وفي أي موضوع" قلت موافقة بلا شروط.

بعد يومين جاء ابني: ليسألني عن رأيي في قضية "الاستنساخ البشري".

فقلت له: دعنا نتحدث كأصدقاء وأترك لي فرصة لأقرأ قبـل أن أجيبـك لأنـي أعرف أنك تعرف الكثير ولم يعد طفل الأمس الذي يمكن أن يقال له أي شيء وإلا فإنـه سيعرفه من خارج دائرتي.. ومادمت تتكلم في قضية الاستنساخ فدعني أفكر لا جيبك.

وهكذا بدأت في الاطلاع علي كل ما كتب عن الاستنساخ وقلت له رأيي.. في أنه ينبغي أن توضع له تحفظات وقوانين حتى لا يساء استخدامه.

فوجدته يقول لي: أنت الآن أصبحت صديقتي فلقد وجدت المعلومات في جهـاز "الانترنت" وقرأت مقالين أنا أيضا "أنت الآن صديقتي لأنك بالفعل أعطيتنـي معلومـات صحيحة.. تحترم شخصيتي وتلائم عصري وسني".

فأجبته وابتسامة علي شفتي خرجت رغما عني.."مادمت توافق علـي صـدقاتي فمعناها أنني هكذا اقتربت من مستوي تفكيرك.. ومعناها أن تشاركني في أسرارك وفـي مشاكلك ولنعبر معا الحياة متكاتفين كأصدقاء..فيا بني كن صديقي الأول.. لأنني قـررت أن أغير مفهوم الأمومة التقليدي السائد ليصبح "ابني صديقي".

١٩٩٥

الفن والتلاميذ الصغار

الشباب تحت العشرين والأطفال في مصر في أمس الحاجة إلي إنتاج أعمال فنية رفيعة المستوي من أفلام تليفزيونية وسينمائية ومسرحية.. هم في أمس الحاجة إلي بنـاء مسرح في كل مدرسة واسحة للفن في كل حي.. وهذا ما أحسسته وأنا أشـاهد مـسرحية استعراضية جميلة لمجموعة من ٥٠ تلميذا من تلاميذ مدرسة مصر للغات بـدعوة مـن المربية وخبيرة التعليم القديرة ماجدة موسي علي المسرح الصغير بـدار الأوبـرا.. أمـا المسرحية الاستعراضية فهي مأخوذة عن رواية من الأدب الكلاسيكي العالمي: "أنا وملك سيام" للكاتبة الإنجليزية مرجريت لندون في عام ١٩٩٤، والتي سبق أن قدمت علي خشبة مسارح برودواي، ثم في فيلم سينمائي ناجح حصد ٥ جوائز أوسكار في عام ١٩٥٦ وقام ببطولته النجم الأمريكي الأصلع يول براينر والممثلة ديبوراكير، كما قدمتها هوليود هـذا العام في فيلم كرتون للأطفال، أما عرض التلاميذ المصريين فقد قدم في فـصلين باللغـة الإنجليزية بعنوان "الملك وأنا" من إخراج المدرسة الشابة وئام شبانة أمام جمهور غفيـر ملأ قاعة المسرح عن آخرها.. قام ببطولة العرض التلميذان بالثانوي مـصطفي فهمـي ودينا الهواري كما شارك في العرض بعض التلاميذ مـن ذوي الاحتياجـات الخاصـة بالمدرسة.. وتخلل العرض استعراضات غنائية وتابلوهـات راقـصة جيـدة المـستوي ومتنوعة كما تغني التلاميذ بأهمية العلم والتطور والفن في حياة البشر من خـلال قـصة المدرسة الإنجليزية آن التي جاءت إلي دولة سيام لتعلم أبناء الملك وتوجههم إلي الطريق السليم في التعليم وفي الحياة.

بعد انتهاء هذا العرض الجميل وجدت نفسي أدندن أغنية رائعة قدمها مائة تلميـذ خلال الحفل بعنوان "الغد ملكنا" يقول مطلعها أعطني أملا، أعطني كبرياء. أعطني يـدك لاتجه إلي النور، علمني كيف اقرأ وأكتب.. علمني كيف أحارب من أجل حقـي!! هـذه الأغنية رددها التلاميذ بكل خلجاتهم إلي حد أن غناها الكبار معهم، هي أغنية تعبر عـن مشاعر الصغار وحاجتهم إلي الأمل وإلي من يأخذ بيدهم إلي الطريق السليم وقد استلهمتها الشاعرة الشابة المدرسة إيمان إبراهيم التي أتوقع لها النجاح إذا استمرت في كتابة الشعر.

أتمني أن يصور التليفزيون المصري هذه الأغنية ليراها الجمهور فـي المنـازل وليردد كلماتها المشاهدون في البيوت.. وأن تهتم وزارة التربية والتعليم بأهميـة التربيـة الفنية في تربية الصغار.. إن من يشعل طاقة فن بداخل الصغير اليوم سيجني ثمارها غدا إنسان متوازن قادر علي إشاعة النور من حوله رافض للظلام وللتطرف، والعنف.

إن الفن يسمو بمشاعر الأطفال كما يبث فيهم إرادة الحيـاة ويـسلحهم بالمبـادئ الإنسانية الرفيعة.. وما أحوجنا إلي ذلك في حياتنا اليوم وفي الغد.

١٩٩٩

حديقة صغيرة للأطفال الكبار

لم يعد أطفال اليوم كأطفال الأمس.

صار العالم قرية كبيرة يري أحداثها بعينيه لحظة وقوعها.. وتغيرت مفردات قاموسه اليومي، فطفل الثامنة أو التاسعة سيحدثك اليوم عن أزمة الخليج.. ومجاعات أفريقيا والقنبلة الذرية.. وصواريخ سكود وباتريوت.. وثورة التكنولوجيا.. لم يعد يكتفي بالكرة والعروسة.. بل أصبح يلعب بالاتاري.. والكمبيوتر.. والننتدو.. والجيم بوي.

إن طفل اليوم صار طفلاً كبيرا واعيا ومدركًا للواقع من حوله فقد الأطفال مساحة كبيرة من براءتهم لأنهم يتلقون المعلومة والحدث لحظة وقوعهما.. إن طفل اليوم يري كل شيء علي شاشة التليفزيون كما أن الأقمـار الـصناعية ودخـول المحطـات الأجنبيـة كالـ.C.N.N وأطباق الاستقبال الفضائية ساهمت في زيادة حصيلته العلميـة والحياتيـة والخبرية بدرجة مذهلة.

ولكن علي الجانب الآخر تضاءلت مساحة الخيال لديه وكادت الوسائل المرئية أن تلتهم قدرته علي التأمل والتفكير العميق التي حظينا بها في طفولتنا حيث كان لدينا متـسع من الوقت للاستمتاع بصحبة كتاب جميل.. أو النوم علي قصة تحلق بخيالنا إلي آفـاق لا نهائية.

كان أبطالنا هم "سندريللا" و "روبين هود" و "طرزان" أما أبطال اليوم: فهم "سوبر مان" و "شيرا" و "هيمان" وكل أبطال الفضاء في مسلسلات الكارتون.. أو أبطـال أفـلام العنف والكراتية مثل "جاكي شان" و "بروس لي" و "روكي".. وحتى لا يتحول أطفالنا إلي مستهلكين لوسائل التكنولوجيا الحديثة ونلقي بهم لكل ما يرد إلينا عن طريـق الـشاشات المختلفة الأشكال والأحجام.. ما يهدد باختفاء قدرتهم علي التأمل والخيال والتذوق. فإننـا لابد وأن نقف قليلاً لنمسك بالزمن في أيدينا.. وأن نفتح في عقولهم طاقة للتأمل العميـق للطبيعة للجمال ونصنع بداخل قلوبهم أوتارا للإحساس والحب والرومانسية.

وهنا تأتي أهمية دور البيت.. وأقصد بذلك دور الأم.. فهي الوحيدة القادرة علـي أن تغرس في سنوات الطفولة الخضراء أي شيء في ابنها.. لأنه يكون بمثابة أرض بكر ممهدة لغرس مختلف أنواع الزرع.. أو إسفنجة صغيرة قادرة علي امتصاص الماء مـن حولها.. وبإمكان الأم أن تجعله يمتص ماء عذبا رقراقا يجعله يشب صحيح الجسم جميـل البنية وسليم العقل والنفس وبإمكانها أن تتركه ليمتص ماء مالحا فيتحول إلي تمثـال مـن الملح الهش القابل للكسر والانهيار في أية لحظة.

سألني صغيري في عيد الأمي الماضي:

ماما: ماذا تريدين في عيدك؟

فقلت له: أي شيء تختاره ويناسب ما ادخرته.

قال: بل اختاري أنت هديتك هذا العام؟

فكرت قليلاً ثم قلت: اريد زرع "البوتس" الأخضر المتسلق لأضعه بجوار الشرفة الزجاجية الكبيرة في غرفة المعيشة.

بالفعل أهداني صغيري أصيصا صغيرا به نبات "البوتس" الأخضر الجميل.. ووضعه قريبا من الشرفة ليكون علي مقربة من الضوء كما قال له البستاني.. ولدهشتي بدأت ألاحظ تعلق صغيري شيئًا فشيئًا بالنبات الصغير.. وبدأ يرويه بيديه ويسألني عن كيفية رعايته والعناية به ثم مالبث أن بدأ يسأل من يراه عن أفضل الطرق للعناية بالنبات الأخضر.. فجأة وفي خلال بضعة أيام نشأت علاقة حب جديدة بينه وبين النبات الصغير الجميل. وبدأ يراقب نمو فروعه الخضراء.. ولا يسمح لأحد برعايتها غيره.. بدأ يسأل عن سر نموها.. ويدهشه فن إعجاز الخالق عز وجل.. بدأت حاسة التذوق الفني تنمو وتورق بداخله شيئا فشيئا.. لقد وجد في جمال الطبيعة ما يسترعي انتباهه إلي جانب النتندو والفيديو والاتاري والكمبيوتر.

ثم بدأت حديقتي الصغيرة تكبر حينما أهداني هذا العام في عيد الأم أيضا أصيصا آخر لنبات "الفيكس".. أحس صغيري بأنه هو الذي صنع هذه الحديقة الصغيرة التي يثني عليها كل من يراها فقررت أن أساهم وأن أضيف إليها حوضا جميلاً من الزهور..وأحسست من خلال تعلق ابني بتلك الحديقة الصغيرة أن علي الأم واجبا هاما في أن تعود طفلها علي التذوق الفني وحب الطبيعة والمحافظة علي الجمال من حوله. إن الطفل الذي يفسح في صدره مساحة للحب وللفن لن يفسح في حياته مجالا بعد ذلك للقبح والدمار والعنف.

قال كاتبنا الكبير الراحل توفيق الحكيم: "الفنان هو الذي يكشف عن الطبيعة من خلال نفسه والعالم هو الذي يكشف عن الطبيعة من خلال المجهر.. وكلاهما يكمل الآخر في بناء المعارف الإنسانية" كان علي بالي أن أقول لصغيري لتكن عالما حين تكبر أو لتكن ما تريده وما يناسب قدراتك.. لكن يكفيني تلك الطاقة من النور التي أضاءتها مزرعتك الصغيرة الخضراء الجميلة في قلبك وعقلك فلتبقها متوهجة بداخلك أبدا.. ولا تطفئها مادمت تتنفس.. وتحس.. وتحيا.. إن طفل عصر التكنولوجيا كادت تتوه منه حاسة

التذوق الفني والإحساس بالجمال والطبيعة وسط التطور العلمي المذهل فلنعـاون أطفالنـا علي حب الطبيعة لأنها البداية إلي حب الخالق والتعمق في إعجازه اللانهائي.

ولنأخذ بيده كي يرسم لوحة من خياله أو يقرأ كتابا هادفا..حتـى لا تـضيع منـه القدرة علي التفكير والخيال.. ولنقل له الحقيقة حتى لا نفقد مصداقيتنا معه: إن العلم كمـا يخدم الإنسان ويساعده فإنه أيضا قد يساعده في حروب الدمار الناتجة عن جـشع بعـض الكبار الذين فقدوا مساحة الحب في قلوبهم.

لنعلمه أولاً كيف يصنع حديقة صغيرة في غرفته أو في أي ركـن مـن أركـان منزله.. وقتها فقط سيبدأ في حب الحياة.. ومن كسب الحياة لن يبحث غدا عن تـدميرها بأية صورة من الصور.

١٩٩٣

الكاتبة والبرج العاجي

تغير شكل البرج العاجي للمبدع مع تغير إيقاع العصر.. لم يختف.. وإنما لم يعد ممكنا للمبدع الانعزال الطويل والانفصال عن الناس من أجل كتابة رواية أو قصة أو قصيدة شعر تسبح في الخيال مثلما كان يحدث في الماضي، حينما كان فلوبير يختفي بعيدا ليؤلف "مدام بوفاري".. أو حين كانت جورج صاند تنعزل لتكتب رواياتها الخالدة.. وحتى في القرن العشرين كن توفيق الحكيم حريصا علي الحفاظ علي المسافة بينه وبين الناس، حيث كان حريصا علي العزلة من أجل مواصلة إنتاجه الإبداعي سواء في مجال المسرح أو الرواية أو القصة ولم أكن أراه يأتي إلي مكتبه إلا يوم السبت من كل أسبوع حيث يختار بدقة من يستقبلهم في مكتبه الواسع بالدور السادس في برج كتاب جريدة الأهرام.

أما الآن ومع نهاية القرن العشرين فقد صار البرج العاجي "برجا معدلاً" اقتضته ظروف الحياة في عصر "الدش" و"الكمبيوتر" و"الفيديو" و"التليفزيون المتعدد المحطات" و"محطات الراديو" التي يصعب حصر عددها.

إن برجي العاجي في منزلي هو عبارة عن مكتب صغير يطل علي نهر النيل ومفتوح علي ضجيج العالم بكل ممارساته.. وصراعاته.. وحروبه.. وعنفه وآفاته.. ومشاكل ناسه.. وإذا كانت العملية الإبداعية هي عملية فردية تتم وسط الوحدة والعزلة.. إلا أنها وحدة مغموسة بضجيج الواقع وصدي إيقاع الحياة اليومية في هذا العصر اللاهث الصاروخي الإيقاع والتغيير حيث ظهرت أنماط جديدة من العلاقات الإنسانية واحتدمت الصراعات علي القوة من كل لون وهدف.. وصار التواصل الإنساني عسيرا حيث يجري الجميع في كل اتجاه لسد متطلبات حياتهم اليومية وسط أزمة اقتصادية طاحنة تسود العالم وغول جديد اسمه غلاء الأسعار.

ولم يعد للمثقفين المثقلين بهموم أوطانهم سوي الحرص علي مواصلة المسيرة والإبداع والإحساس بالانتماء إلي نوعية من البشر "حاملة القيم" ما تزال شاغلها الأكبر هو التعبير عن الناس في أي مكان.. والبحث عن معني الحياة وإثراء الوجود الإنساني من خلال العمل الإبداعي.. وأنا من أكثر الحريصين علي لقاء المثقفين من مختلف أنحاء العالم.. بل تربطني صداقة متينة بالكثيرين منهم.. وقد وجدت نفس هذا الشعور كلما التقيت بواحد منهم.. فبمجرد اللقاء وتبادل وجهات النظر نكتشف أن كلامنا ينتمي إلي عالم واحد.. ذي ملامح خاصة جدا.. اسمه "عالم المثقفين" ولهذا كانت سعادتي فائقة حين التقيت في القاهرة مؤخرا بصديقتي الكاتبة الفرنسية إني ارنو.. بعد غياب ٥ سنوات.. فقد

جاءت إلي القاهرة للاحتفال بصدور أحدى رواياتها الهامة "المكان" التي صدرت في عـام ١٩٨٤ وفي نفس العام حصلت علي جائزة رينودو الأدبية الفرنـسية باعتبارهـا أفـضل رواية في هذا العام.. وإني ارنو ولدت في عام ١٩٤٠ بمدينة ايفتو.. وهي مدينة صغيرة من مدن نورماندي وقضت مراهقتها وطفولتها فيها مع والدها العامل الفقير الذي ينتمـي إلي طبقة المقهورين.. ثم انفصلت عنه لتنتقل إلي مدينة روان للالتحاق بكلية الآداب حيث قامت بعد تخرجها بالتدريس في ضواحي باريس وهي الآن أستاذة للآداب فـي المركـز القومي للتعليم بالمراسلة وتقيم بضواحي باريس.. وقد أصدرت عدة روايات منـذ عـام ١٩٧٤ منها "المرأة المتجمدة" و"امرأة" ومؤخرا "يوميات من الخـارج" (١٩٩٣) والتـي أثارت ضدها نقدا حادا لأنها تكلمت فيها عن المشردين في الضواحي الذين يعيشون بـلا مأوي.. إلا أن روايتها "المكان" كانت أكثر رواية لقيت نجاحا إذ بلغت مبيعاتها ٤٠٠ ألف نسخة.

عندما تقابلنا تفجرت قضايا الإبداع وتفرعت إلي الحديث عن مشاكل العالم قلـت لها: لماذا لم يعد البرج العاجي للأديب موجودا بنفس مواصفاته القديمة.. لماذا صار حلما بعيد المنال.. لماذا صار رمزا لزمن مضي حيث التأمل والرومانسية والهدوء..؟ لماذا لا تتفرغين للكتابة الإبداعية مادامت كتبك تحقق رواجا؟ لماذا تستمرين في عملك بالتـدريس بينما بإمكانك أن تشيدي لنفسك برجا عاجيا وتتفرغي لكتابة الروايات فقط؟

قالت وهي تزيح إلي الخلف خصلة من شعرها الأشقر الطويل ونحن نجلس حول مائدة في فندق "قصر محمد علي".

إن التفرغ للكتابة يعني إرغام قلمي علي كتابة أعمال مضمونة النجاح في اتجـاه مقاييس تجارية.. وأنا أرفض هذا وأفضل الاعتماد علي دخلـي مـن عملـي بالتـدريس بالمراسلة.. فهو يعطيني الإحساس بالحرية الكاملة في كتابة ما أريد كتابته بلا رتوش وبلا ضغوط من أي نوع: أن الأدب هو حافزي لإنجاز ما علي أن أفعله وما أريد أن أفعل هو الكتابة بحرية تامة.. ووقتما أشاء فكتابي الأخير مثلاً لا ينتمي إلي كتابات البرج العـاجي فلولا إنني عايشت وشاهدت مشاكل الفقراء الذين يعيشون بلا منازل في ضواحي بـاريس – لما استطعت أن أجمع مادة رواية (يوميات من الخارج).

تركت إني ارنو التي التقيت بها لأول مرة في عام ١٩٨٩أثناء ندوة أدبية بمعرض فرانكفورت الدولي للكتاب.. وتمنيت لو أستطيع يوميا الوصول إلي حـل تلـك المعادلـة الصعبة التي استطاعت تحقيقها فهي تعمل لنصف الوقت فقط فهـي تكتـب محاضـراتها وترسلها للمركز ومعظم وقتها مخصص للكتابة الإبداعية.. والسفر لكنني حينما خلوت إلي

نفسي أدركت أن تحقيق هذه المعادلة مستحيل بالنسبة لي في الوقت الراهن.. فأنا أنتمـي إلي منطقة يقع علي الكاتب فيها دور كبير في دفع مسيرة التقدم في وطنه.. فعملي ثلاثي الأبعاد هكذا اخترت وهكذا أشعر أن دوري ككاتبة قد اكتمل.. البعد الأول هـو ممارسـة مهنتي كصحفية في بلاد صاحبة الجلالة والبعد الثاني هو مواصلة الكتابة الإبداعية.. أمـا البعد الثالث فهو انشغالي بقضايا المرأة وحقوق الإنسان في وطني.. وهذا يتطلب عمـلاً كثيرا ومتواصلاً.. وما أزال حتى الآن أواصل هذا الدور بكل الحب.. ولم أفلح حتى الآن في حل معادلتي الصعبة وإلغاء أي بعد من هذه الأبعاد الثلاثة.. ولكن حتى أصل إلي حل كما استطاعت صديقتي إني فلا مانع من الحلم بأنني قد أجد يوما الوقت الكافي للتعبير عن أفكار القصص المحبوسة بداخلي والتي تريد أن ترى النور.. أو ربما أسـتطيع أن أشـيد لنفسي يوما برجا عاجيا أهرب فيه من ضجيج الحياة من حولي ولو لبعض الوقت.

أفسحوا الطريق – النساء قادمات

حرصت أثناء وجودي بمدينة فرانكفورت علي لقاء أبرز الكاتبات اللاتي استطعن خلال السنوات الأخيرة أن يتجاوزن حدود المحلية، من خلال إنتاجهن الروائي والقصصي لأقدمهن للقارئ العربي من خلال هذه الحوارات، وهن علي التوالي الكاتبتان الجزائريتان الأصل والمقيمتان في باريس "آسيا جبار" و"ليلي صابر" والكاتبة المكسيكية "كارمن بولوزا" المقيمة في بلادها المكسيك وقد جئن مع غيرهن للمشاركة في ندوة "رؤية الآخر وصور أخرى" التي أقامها مركز الشمال والجنوب بمعرض فرانكفورت الدولي للكتاب هذا العام، إلي جانب المشاركة في الاحتفال الذي أقيم بمناسبة صدور أعمالهن الأخيرة، باللغة الألمانية.

كان اللقاء الأول مع الكاتبة الجزائرية المولد آسيا جبار والتي تتنقل بين الجزائر وفرنسا وأمريكا ولندن تبعا لارتباطاتها المهنية وكتاباتها.. وهي روائية معروفة ذات صيت دولي وهي تكتب اللغة الفرنسية عن الإنسان الجزائري المعاصر وعن أحواله وواقعه الراهن، وأيضا تولي اهتماما خاصا بأحوال المرأة الجزائرية، بل إن أهم ما لفت إليها الأنظار هو إخراجها لفيلم تسجيلي عن النساء في الريف الجزائري نال جائزة في مهرجان السينما بفينسيا في عام ١٩٧٩ وقد ولدت في الجزائر في عام ١٩٣٦ وبدأت الكتابة في عام ١٩٥٦ مع أولي المظاهرات للطلبة، ثم تزوجت رجلاً من المناضلين الثوريين وعملت بعدها أستاذًا مساعدا للتاريخ بالمغرب وبعد انفصالها عن زوجها في عام ١٩٥٧ ذهبت إلي بريس في الستينيات وعادت إلي الجزائر في عام ١٩٧٤ لكنا ما لبثت أن عادت إلي باريس مرة أخرى.

ولآسيا جبار عدة روايات منها: نساء الجزائر في بيوتهن، وبعيدا عن المدينة، والسجن الواسع، والجزائر البيضاء.

سألتها عن إنتاجها الأدبي وفكرها فقالت:

إن أحدث كتاب لي هو الجزائر البيضاء كان الدافع إلي كتابته هو حزني لفراق ثلاثة من أصدقائي الجزائريين تم اغتيالهم علي أيدي الجماعات المتطرفة بالجزائر وهم المخرج المسرحي عبد القادر علوله وعالم الاجتماع محمد بكوبزا، وعالم النفس محفوظ بوسس ومن خلال روايتي حاولت أن أفهم سبب العنف المتفشي في الجزائر، كما أدركت لماذا يصبح الكاتب والمثقفون هم أول ضحايا العنف والتطرف.. ولهذا عقدت مقارنة بين وضع المثقف أثناء حرب التحرير في فترة الخمسينيات ووضعه الآن.

والكتاب محاولة لتقديم شهادتي حول المثقفين الذين تم اغتيالهم علي أيدي المتطرفين، كما اغتيل غيرهم من الأبرياء إلي حد أن ذلك قد يصبح في النهاية شيئًا معتادا، بينما الأساس في القضية هو الصراع بين الساطة والمتطرفين. وأنا أكتب لأذكر الناس بأن الضحايا كانوا يحبون الحياة ويدعون للسلام وهو عن الذاكرة الجزائرية أكثر منه كتاب يقدم الحلول، فأنا أعتقد أن علي الكاتب دورا هاما هو أن يذكر الجميع بمبادئ العدالة والسلام، وأعتقد أن مواجهة العنف لا تكون بالعنف ولكن بالسياسة والمنطق وتقديم حلول لمشاكل يأس الفقراء.

أما الكتاب الذي أعتز به فهو بعنوان "بعيدا عن المدينة" وقد كتبته لإحياء الذاكرة الإسلامية وإلقاء الضوء علي النساء المسلمات البطلات في التاريخ الإسلامي منذ وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام وحتى انتهاء فترة الخلفاء الراشدين ويتناول هذا الكتاب ٣٣ شخصية نسائية إسلامية وجدت أنهن شاهدات علي العصر واكتشفت أنه كان للمرأة دور مؤثر في هذه الفترة التاريخية المهمة من تاريخ الإسلام.

وقبل أن أترك الكاتبة آسيا جبار لابد أن أذكر للقارئ أنها تقوم بدور ثقافي مهم في الخارج، فهي تنتقل بين الجامعات الأمريكية والإنجليزية والفرنسية لإلقاء محاضرات حول الأدب العربي والأدب المقارن، فضلاً عن أنها قامت بتدريس أدب نجيب محفوظ لسنة دراسية في جامعة الجزائر وذلك عام ١٩٧٤.

أما الكاتبة الجزائرية الثانية فهي ليلي صابر المقيمة الآن بباريس وقد ولدت في الجزائر لوالد جزائري وأم فرنسية ثم رحلت إلي باريس مع عائلتها في سن الثامنة عشرة وهي تكتب عن العرب في أوروبا أو لقاء الثقافتين العربية والأوروبية وتصدر رواياتها وقصصها باللغة الفرنسية ومن أهم ما صدر لها ثلاثية شهر زاد في عام ١٩٨٢ وحتى عام ١٩٩١.

قالت لي ليلي صابر عن مضمون فكرها وكتابتها:

أنا أنشر روايات وقصصا يوجد بها دائما حضور للجزائر لأن ما يهمني هو اللقاء بين الحضارتين العربية والفرنسية، وما يحدث في العلاقات بين العرب في فرنسا، وتستفزني في الوقت الراهن العنصرية في فرنسا والتطرف والعنف في الجزائر غير أنني في رواياتي أحاول فهم ما يحدث لدي شاب أو فتاة أو أسرة في فترات الأزمان والحروب والمواجهة فأنا أعيش في فرنسا وهي بلادي الذي أعيش فيه كما أكتب بلغته لأنها لغة التعليم في الجزائر ولكن في داخلي إحساسا أن جذوري جزائرية بدءا من اسمي ومرورا باهتماماتي وصلاتي الاجتماعية.

فأنا أعيش في المنفي حتى الآن لأن جزءا مني جزائري وهذا الجزء المنفي هو الذي يغذي كتاباتي الأدبية.

قالت لي أيضا: في كتاباتي ستجدين دائما الحضور العربي بوجه عام. دائما الالتقاء بين الثقافتين الفرنسية والجزائرية أو العربية، ففي ثلاثية شهرزاد مثلاً ستجدين أن شهرزاد فتاة مولودة في الجزائر لوالدين جزائريين لكنها تهرب إلي فرنسا ثم ما تلبث أن تبحث عن كل دلائل انتمائها إلي الثقافة العربية والتي تجهلها وشيئًا فشيئًا تبدأ في اكتشاف شرق خيالي لا تعرفه لكنها تكشف ملامحه من خلال بحثها عن جذورها العربية.

أما أحدث عمل لي فهو مجموعة قصص صدرت هذا العام في فرنسا بعنوان الفتاة التي تقف في الشرفة وتدور قصتان منها في الجزائر عامي ٩٤- ٩٥.

أما الكاتبة الثالثة فهي أيضا تنتمي لجذور غير أوروبية وتأتي من إحدى الدول النامية التي تعاني من الأزمات الاقتصادية والاجتماعية الطاحنة، وهي الكاتبة المكسيكية التي تكتب بالأسبانية وتقطن مدينة المكسيك كارمن بولوزا والتي حصلت هذا العام علي الجائزة الأدبية في الأدب والحرية التي تمنح لكاتبة من خارج ألمانيا تتميز كتاباتها بالشجاعة والجرأة في تعرية المجتمع، صدر لها خمس روايات بعضها مستمد من التاريخ ولكن بهدف إلقاء الضوء علي العلاقات الإنسانية أثناء الأزمات الكبرى وقد ترجمت روايتها "صانعة المعجزات" إلي الألمانية وهي التي فازت هذا العام بالجائزة الأدبية.

قالت عن مضمون روايتها الفائزة:

إن صانعة المعجزات هي ببساطة امرأة تقرأ الطالع لسكان المدينة الذين يأتون ليحكوا لها عن مشاكلهم وأحلامهم وهي العين التي يري القارئ من خلالها أحلام الناس في هذه المدينة، ثم تستطرد قائلة أنا أكتب لأني أؤمن بقوة الأدب والخيال وأنا أعتقد أننا نواجه لحظة تاريخية عصيبة في بلادنا، فنحن نواجه أزمة اقتصادية وسياسية وأخلاقية خطيرة وما يحدث في المدينة هو الذي دفعني إلي كتابة هذه الرواية التي تعد حوارا مع هذه اللحظة من تاريخنا بداخل المدينة وإنما أؤمن بقوة الخيال إيمانا راسخا لأنه يعطيني القوة أكثر من الأفكار الواقعية وبخاصة في بلادنا حيث إن الواقع قاس، وإن لم نكن نملك الخيال لانتحرنا، علينا أن نعمل خيالنا للخروج من أزمتنا ولإيجاد الحلول لأن خيالنا هو الذي يتيح لنا أن نلقي نظرة تقدمية علي واقعنا ثم يجعلنا نجد حلولا جديدة لمشاكل قديمة إذن فالخيال واقع عملي أيضا، نحن في حاجة إلي أعماله للبحث في أحوالنا والخروج من أزماتنا وليس أن نبقي في انتظار حل مشاكلنا. إن الخيال هو سبيلنا الوحيد لنتولي مسئولياتنا اتجاه أنفسنا.

ومع نهاية حديثي مع الأديبات الثلاثة اللاتي تحتل كل منهن موقعا متميزا علـي ساحة الإبداع العالمي في عام ١٩٩٦ ليواصلن طريق الإبداع الشاق، وأريد أن أقـول إن وراء هذه المكانة التي احتلتها كل منهن شجاعة في التعبير وجرأة فـي طـرق القـضايا الراهنة وبحثًا دءوبا لفهم الواقع المعاش من خلال إنتاجهن الأدبي الرفيع وهاهي المـرأة المبدعة تنجح في أن تتبوأ مكانة علي الخريطة الأدبية. بل أعتقد أن النساء قادمات في كل موقع وفي كل مكان.

وسيكون القرن الحادي والعشرين قرنا يشهد انتصارات كبرى للمرأة في جميـع المجالات السياسية والثقافية والاجتماعية. وسوف يتغير وجه المجتمعات.. ليصبح كلا من المرأة والرجل شريكان في صنع الحياة.

لقاء في روما

الإبداع هو موهبة الخلق والقدرة علي التعبير عنه.. هو رحلة المتعة والعـذاب.. هو عالم رحب تسقط فيه الحواجز مع النفس وحياة كاملة نتفاعل بها ومعها ونكتشف فيها مع كل يوم أسرار الوجود الإنساني وإذا كانت المرأة العربية قد دخلـت عـالم الإبـداع متأخرة مع منتصف هذا القرن.. فإنها قد استطاعت أن تقدم لنا أدبا رفيع المـستوي فـي مجال القصة اختلف في شكله ومضمونه تبعا للمرحلة المعاشة وللفترة الزمنية التي ظهـر فيها وللظروف الاجتماعية المحيطية بالكاتبة إلا أن الكاتبة في التسعينيات تقف الآن لتعيش زمن التناقضات النفسية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية ويقع عليها دور هام في قيادة حركة تطوير المجتمع والتصدي لكل محاولات الردة إلي الوراء والدفاع عن حقوق المرأة ووجودها ككيان فعال في مجتمعها.

هذه الكلمات تعبر عن رؤيتي للواقع الحالي والدور الهام الملقي علي عاتق الكاتبة المعاصرة فقد انتهي زمن البرج العاجي للأديب.. انتهي زمن العزلـة والاسـهاب فـي الرومانسية والغرق في بحار الأحلام.. وأصبحت الرومانسية ذات أقدام تغوص في أرض الواقع وأصبح الحلم مرتبطًا بإمكانية تحقيقه والتفاعل مع مفرداته وقدرته علي الاقتـراب من الحقيقة.

ومن هذا المنطلق قبلت الدعوة للمشاركة في "مهرجان المرأة والإبداع الفني" الذي أقيم بالأكاديمية المصرية للفنون بروما والذي يلقي الضوء علي الأنشطة الإبداعية والفنية للمرأة المصرية المعاصرة. لقد تحمست لفكرة هذا المهرجان مـا أن عرضـها علـي د. مصطفي عبد المعطي رئيس الأكاديمية المصرية بروما حينذاك والأستاذ محمد غنيم وكيل وزارة الثقافة المصرية وأتمني أن يصبح توجها عربيا لتقديم الوجه المشرق للمرأة العربية من المحيط إلي الخليج، وليس أجمل من الفن كمرآة ليعكس قدراتها لأنه اللغة الأقرب إلي الوصول إلي الوجدان الأوروبي فهو لغة الحوار العالمي التي ارتفع فوق كـل الخلافـات والاختلافات والسياسات.

أتمني أن يصبح بإمكاننا أن نعقد ندوات عربية مشتركة في قلب العالم المتقدم في أوروبا وفي أمريكا وحتى في الصين لنقدم أفكارنا ونقدم النماذج المـشرفة مـن النـساء العربيات اللاتي لا يعرف عنهن العالم الكثير.. بل أن البعض ما يزال يعتقـد أن المـرأة العربية تعيش في عصر الحريم، وفي ظل التغيرات العالمية من حولنا يمكـن أن تـصبح المرأة جسرا في لغة الحوار وشريكة في لعبة التوازن التي أصبحت بديلاً لفرقعة القنابل..

وحيث تحاول الدول الآن أن تجد لنفسها مكانًا تحت شمس النظام العالمي الجديـد الـذي يتشكل من حولنا.

صبحتني في رحلتي إلي مدينة روما كممثلات للمرأة المصرية الكاتبـة الروائيـة إقبال بركة والناقدة الدكتورة هدى وصفي، وصلنا يوم الأربعاء مساء أي قبل موعد عقـد الندوة بيوم واحد وفي صباح الخميس التقينا صباحا للترتيب للندوة التي جئناهـا ثلاثتنـا بقلوب مفعمة بالحماس والرغبة العميقة في إنجاحها كمحاولة أولي في قلب أوروبا، فـي ليلة الخميس وفي الساعة السادسة تماما ذهبت إلي القاعة المخصصة للندوة وهـي قاعـة فسيحة جميلة خضراء اللون ذات مقاعد مخملية مريحة بلون ورق الشجر.. كانت القاعـة قد احتشدت بالجمهور قبل الموعد بنصف ساعة وامتلأ الصف الأول بعـدد كبيـر مـن السفراء العرب الموجودين في روما جاءوا للمشاركة في هذا الحدث الفريد الـذي أمتـه المبدعات العربيات لأول مرة في قلب العاصمة الإيطالية ثم ممـثلات الاتحـاد النـسائي الإيطاليات وعدد كبير من الشباب الإيطالي المهتم باللغة العربية وآدابهـا، وعـدد مـن المستشرقين بالإضافة إلي عدد من أعضاء الجاليات العربية المقيمة في تلك المدينة التـي يطل التاريخ من كل ركن من أركانها.. وافتتحت الندوة هدي المراسي سفيرة مصر فـي روما والتي حرصت علي المشاركة رغم إصابة أليمة في ظهرها قبلها بأيام ولم تنصرف إلا بعد انتهاء الندوة رغم آلامها البادية علي وجهها ولكنها كانت فخورة بأن تقدم في قلب إيطاليا وجوها مشرفة للمرأة المصرية.

ثم تحدثت د. هدي وصفي عن رؤيتها لحركة إبداع المرأة العربية المعاصرة تلتها الكاتبة إقبال بركة عن تجرتها الروائية.

أما أنا فقد اخترت أن أتحدث عن التحديات التي تواجه الكاتبـة المعاصـرة فـي بعض من تجربتي الذاتية مع عالم القصة.. ومن بين التحـديات التـي حرصـت علـي ذكرها.. التطرف المنظم والتيارات التي تقف ضد حركة التطور والتي تتخذ من الإسـلام ذريعة والإسلام منها بريء.. وما أن انتهيت من كلمتي حتى وقفت من بين الصفوف شابة سمراء تطفح قسمات وجهها بالغضب قالت وهي تسألني بالإنجليزية:

أنت تقولين أن الإسلام بريء.. ولكن أليس وضع المرأة المسلمة المتـردي هـو نتيجة للمفاهيم الإسلامية المجحفة بها؟

وحدث بعد سؤالها هرج في القاعة وضجيج وهمست في أذني صديقتي إقبال بركة بعدم الرد عليها لأن السؤال بعيد عن موضوع الندوة، لكنني وحتى وسـط هـذا الحـشد الأوروبي الذي جاء بفضول واضح ليري عن قرب نماذج مـن الكاتبـات المـصريات

ويدهش من كل كلمة نقولها عن الإنجازات والمجالات التي اقتحمتها المـرأة المـصرية والعربية أيضا في السنوات الأخيرة وكأننا كائنات غريبة قادمة إليهم من كوكب آخر.

قلت للشابة الغاضبة: إن الإسلام دين مودة ورحمة وإن المـرأة كانـت تـاجرة وطبيبة وشاعر ومعلمة وراوية للحديث ومحاربة في عهد الرسول "ﷺ".

وإن النصوص قابلة للاجتهاد بحسب روح العصر وبحسب تفـتح العقـول التـي تفسرها. وسألت الشابة الغاضبة فعرفت أنها جزائرية عانت من قهر طويل.

أشفقت عليها ولم أرها بعد ندوتي.

ولكن كان علي بالي أن أقول لها: كنت أتمني أن يأتي سؤالك من امرأة أخـرى ومن جنسية غير عربية قد تهاجم الإسلام علانية.. ولكن سؤالك يا صديقتي لم يكن هـذا موقعه ولا كان يصح أن تطرحيه علانية بهذا الغضب.

فالمرأة المسلمة العربية استطاعت أن تأخذ موقعها في كل مكان وهذا يتوقف علي قدراتك وعلي إمكانياتك فلا تحاولي أن تلقي بغضبك علي دين هو أعظم الأديان.

١٩٩٣

لقاء مع أديب جزائري في المنفي

أسفرت الأزمة الراهنة التي تعيشها الجزائر منذ سنوات عن هجرة الكثيرين من أبرز مثقفيها ومبدعيها غلي الخارج فرارا من العنف والتطرف المستشري داخل حدودها.

وصدر خلال العام الحالي مائة كتاب أدبي بأقلام جزائرية معروفة تم نشرها في أوروبا.. ولقد التقيت في مدينة فرانكفورت بواحد من أبرز الأدباء الجزائريين الذين يعيشون في المنفي بسبب الأحداث الأليمة بالجزائر والذي فجر في حواري معه معاناة شعب ووطن يئن منذ سنوات تحت وطأة التطرف السياسي ويجد في الإبداع بديلاً عن العنف وفي الأدب وسيلة للتعبير عن الواقع المعاش باعتبار أن الأديب ضمير أمته والمعبر عن وجدان شعبه.

وقبل الحوار نقول أن الروائي محمد مقاني يعيش حاليا ف مدينة برلين منذ عامين.. وجاء إلي مدينة فرانكفورت ليشارك متحدثا عن أزمة الجزائر في ندوة "حقوق الإنسان" التي أقامها المركز الدولي لمعرض فرانكفورت الدولي الخمسين للكتاب باعتبار أن الأدب هو أحد جسور الثقافة المهمة بين الشعبو.

وهو مولود في الجزائر في عام ١٩٤٨ وله عدة كتب صادرة باللغة الإنجليزية وهو أستاذ في جامعة الجزائر ولكنه يعيش مع عائلته في المنفي بألمانيا كغيره من المثقفين الجزائريين الذين التقيت بهم هنا.. وقد ترجمت له رواية إلي اللغة الألمانية بعنوان "الجزار الجزائري" وهي رواية رمزية تتناول الواقع المعاش بداخل الجزائر.. وهي يوتوبيا يحاول من خلالها خلق مدينة فاضلة زاخرة بالثقافة والفكر.

والأديب محمد مقاني وجه بارز في حركة الأدب الجزائري المعاصر ولكن في وجهه كل ملامح الأزمة من ثورة علي العنف وغضب علي الدماء السائلة بسبب المعارك السياسية بين أبناء وطنه، وحزن نبيل لا يظهر إلا وجوه الأحباء من الأهل الذين ما يزالون بداخل أرض الوطن.. قد لجأ إلي الكتابة كوسيلة للثورة علي الواقع الدموي.. وهو يعيش حاليا في مدينة برلين بسبب الوضع الأليم للمثقفين والكتاب في الجزائر حيث يعيش الكثيرون منهم مشتتين هنا وهناك خارج بلادهم.. ولكن رغم هذا "ولدت أزمة الجزائر حركة ثقافية ثرية في المنفي" كما أكد قائلاً: نحن نأمل في العودة إلي الجزائرية قريبا لكي نكون حركة ثقافية من جديد داخل وطننا.. أما بالنسبة للمثقفين الذين يعيشون في المنفي فإنهم يكتبون أعمالهم بثلاث لغات هي العربية والفرنسية والإنجليزية.. منهم "الطاهر وطار" و"طاهر بن جلون" و"محمد الديب" و"آسيا جبار" أما عن دور المثقف في ظل

الأزمة الجزائرية: فقد قال لي: "أنا لست برجل سياسة ولكنني أشـارك ككاتـب روائـي بإعطاء صورة عما أراه يجري في وطني سواء عن طريـق الروايـة أو عـن طريـق المشاركة بالحديث في الندوات والمحافل الدولية.. وأنا هنا في نـدوة "حقـوق الإنـسان" بفرانكفورت قد قدمت وجهة نظري كمثقف جزائري في الأحداث المأساوية للجزائر والتي راح ضحيتها في خلال خمس سنوات عشرات الآلاف من الأرواح كما اغتيل خلالها أدباء ومثقفون وإعلاميون وفنانون ومسرحيون وطلبة.. وشرحت للأوروبيين أن ما يحدث الآن في الجزائر هو تطرف سياسي لابد أن نفرق بيه وبين التطرف الروحي.. ففـي الغـرب صورة مشوهة عن الإسلام أرفضها رفضا باتًا وأحاول توضيح الفرق بين الإسلام كـدين وبين حالة التطرف السياسي التي تسودي بلادي.

أما عنوان دراسته التي حضرتها فهو "عالم قديم شجاع" وتـدور حـول موقـف المثقفين الجزائريين في فترات المحن المختلفة وبخاصة في تحقيق الاستقلال للجزائـر.. وأن المثقف الجزائري يعيش حاليا فترة دموية أليمة.. ومن هنا يقع علي المثقف دور مهم باعتباره البديل عن العنف والدموية والتطرف.. وهو الوحيد القادر علي عبـور الأزمـة التي يعاني منها الوطني من خلال التركيز علي أهمية تحقيق مبادئ الحرية والديمقراطية والحوار العقلاني.

نعم أن هذا اللقاء مع وجه أدبي جزائري مغترب خارج وطنه قد أكد لـي أهميـة دور المثقف في أوقات المحن حيث أن المثقف هو ضمير المجتمع.. هو صـوت الحـق والحقيقة والحرية.. هو الذي يتكلم ضد كل ما هو عنف وقبح وظلم وقهر وليس مقبولا أو محتملاً أن يقف المثقف موقفًا حياديا أو أن يلتزم الصمت أمام الأحداث الهامة في بلاده.. بل عليه أن يعبر عما يعتقده وعما يفتقده وعما يفكر فيه وأن يكون لسان حال شعبه حتـى لو كان يعيش في المنفي.

لقاء في الكويت

منذ اللحظة الأولي لتي وطئت فيها قدماي أرض الكويت أحسست بدفء يسري في أوصالي، دفء نابع من أمرين أولهما مناخ ربيعي بديع جعل المدينة تبدو في أزهي حللها الربيعية المزدانة بالزهور الملونة في شوارعها وميادينها وفنادقها وثانيهما استقبال حار لقيناه من كل الأشقاء هنا ليعكس المحبة التي يكنها الكويتيون لموقف مصر المساند للكويت أثر الهجوم العراقي عليهم. وللحقيقة لابد لي من الاعتراف بأن هذه هي زيارتي الأولي للكويت، وكنت أريد أن أري بعيني وجه الكويت الثقافي وتجربتها في إعادة بناء نفسها بعد حرب الخليج.. ولهذا السبب حرصت علي تلبية الدعوة التي جاءتني من المثقف الكويتي د. محمد الرميحي أمين عام المجلس الوطني للثقافة والفنون ورئيس تحرير مجلة "العربي" والتي تعتبر منبرا ثقافيا يحتضن علي صفحاته مختلف الأقلام العربية وذلك للمشاركة في احتفالية "لقاء الأشقاء" التي تقام تحت رعاية الشيخ سعد العبد ا سالم الصباح ولي عهد الكويت ورئيس مجلس الوزراء بمناسب مرور أربعة عقود علي صدور المجلة والمشروع الثقافي الكويتي.. ورغم أن المناسبة في الأصل احتفالية.. إلا أن ثمة أمرين لاحظتهما خلال إقامتي القصيرة هنا للمشاركة أولا: إن إعادة بناء المدينة قد تم بشكل سريع ومنظم فبدت الكويت مدينة عصرية حديثة منظمة تزخر بكل متطلبات العصر الحديث.. ولكن الإنسان الكويتي الذي استطاع إعادة بناء المدينة لا يزال في الأعمال مسكونًا بالغضب والمرارة والحزن منذ الهجوم العراقي.. فالجرح مازال ينزف بداخل كل امرأة أو رجل أو طفل في الكويت ومازالت أثار الحرب غائرة في قلوبهم.. ولا يزالون يأملون في عودة أسراهم المحتجزين في العراق.. أما الملحوظة الثانية، فهي الحرص علي الدور الثقافي للكويت وبدأ ذلك في دعوة نخبة من المفكرين والمثقفين من كل الأقطار العربية.. وهذا هو الدور الأبقي لأية دولة تريد اقتحام المستقبل.. وقد ظهر هذا الحرص من جانبهم علي كل المستويات سواء أكان ذلك من جانب المثقفين الكويتيين الذين حرصوا علي الترحيب بضيوفهم العرب وعلي المشاركة في الندوات والمناقشات التي استمرت يومين.. أو من جانب الحكومة الكويتية حيث حرص ولي العهد الكويتي ورئيس مجلس الوزراء الشيخ سعد العبد ا السالم الصباح علي الترحيب بضيوفه بنفسه من المثقفين والكتاب العرب في قصر بيان وإجراء حوار حر ديمقراطي وودي تم خلاله تبادل وجهات النظر في مختلف القضايا العربية التي تؤرق العقل العربي وأبدي الشيخ سعد العبد ا السالم الصباح سعادته بلقاء هذه النخبة المتميزة من أهل الفكر.. ولعل ما أسعدني كمصرية منذ لحظة بدء اللقاء أن ولي العهد قد أبدي تقديرا خاصا للدور المصري

فقد أشاد بموقف مصر المساند للكويت منذ بدء الهجوم العراقي الغاشم أما أن فحرصـت من جانبي وقبل وداعه علي أن أؤكد له أهمية إقامة جسر التواصل الثقافي يلتقـي عليـه الأشقاء العرب بين الحين والآخر بشكل متواصل ومتصل حتى لا يصبح اللقـاء مجـرد مناسبة وتمشي.

١٩٩٩

الكويت والمقاتلات الأوائل

انتصار آخر تحقق للمرأة الكويتية خلال فترة وجيزة بعد صدور القرار الحكومي بالسماح بالترشيح والانتخاب.. انتصار آخر توج كفاحها البطولي أثناء الغـزو العراقـي علي بلادها إن حرب الخليج لم تكن بمثابة زلزال مدو هز العالم العربي من أقصاه إلـي أقصاه.. بل كانت أيضا بمثابة زلزال هز المرأة الكويتية، فجعلها تهب للدفاع عن وطنهـا وتشارك جنبا إلي جنب مع الرجل في تحرير الأرض وفي صفوف المقاومة سواء أكـان ذلك بالداخل أم بالخارج.

وسقطت المرأة الكويتية شهيدة تحت وابل الهجوم. ولكن ذلـك كلـه لـم يمنـع مشاركتها في قضايا وطنها وأثناء المقاومة حتى اليوم، ومن أجل عودة الأسري الكويتيين الموجودين في السجون العراقية.. وعندما زرت الكويت في مناسبة ثقافية أخيرا كان أول ما طالبتني به الشقيقات في الكويت من المثقفات والإعلاميات هو مـساندة الكويـت فـي استرجاع أسراه.. أما الانتصار الجديد للمرأة فيتمثل في قرار شجاع للشيخ سالم الـصباح نائب رئيس الوزراء ووزير الدفاع الكويتي عندما أعلن فتح باب القبول للمرأة للانخـراط في صفوف الجيش كمقاتلات.. أما أول مقاتلة كويتية تنضم إلي العسكرية فـي الكويـت، فاسمها عبلة سيف عباس التي قدمت أوراق تطوعها فور سماعها النبأ وهـي تبلـغ مـن العمر ٢١عاما، وهي حاليا طالبة بالسنة النهائية بجامعة تكساس الأمريكية، وهـي تعمـل إلي جانب دراستها في صفوف شرطة الجامعة المكلفة بحماية مبانيها وحفـظ مـا بـين جنباتها.. وقبل هذا هي أيضا بطلة رياضية حاصلة علي الحزام الأسود في التايكونـدو.. وعبلة لم تأت مشاركتها تلك من فراغ، بل هي تنتمي إلي أسرة مستنيرة الفكر وذات حس وطني عال.. فوالدها الأستاذ الجامعي صرح لجريدة "الرأي العام" الكويتية، بأن حلم حياة ابنته هو أن تخدم بلادها كمجندة في الوحدات القتالية للجيش.. أما شقيقتاها فهمـا أيـضا مناضلتان وطنيتان سبق لهم التطوع مع سبع فتيات كويتيات في وحدات الجيش الأمريكي التي شاركت في تحرير الكويت في الغزو العراقي.. وهما أكبر منها سنًا ورغم عاصـفة الاحتجاج، والنقد التي لقيها هذا القرار من جانب التيار المحـافظ الـذي لا يـزال ينتقـد الحكومة لقرارها بالسماح للمرأة بالترشيح والانتخاب فإنني أدعـو المـرأة الكويتيـة ألا تستسلم لهذا الانتقاد حتى تدور عجلة التطوع وفي اعتقادي أن المرأة الكويتية تملك الإرادة والقدرة علي العمل وعلي المشاركة ولأن دورها قد ترسخ منذ الغـزو العراقـي علـي

بلادها.. ومن ناحية أخرى لأن في الكويت رجالاً يملكون من العقول المستنيرة والعدالة ما يتيح للمنطقة أن تقفز إلي المستقبل بثقة.

١٩٩٩

باريس والعودة إلي الزواج

يتناقل أهل باريس حكاية أشهر زواج يتم الآن بين أشهر مطرب فرنسي وأشـهر صحفية فرنسية وتتناقل الأوساط الفنية الإعلامية والبيوت الفرنسية تفاصيل هذا الـزواج منذ أن بدأت قصة الحب التي ربطت بين نجمين من نجوم باريس في الـستينيات وحتـى الآن أما سبب الاهتمام بهذا الزواج فيعود إلي عدة أسباب أولهـا أن اقتـران المطـرب الفرنسي الأكثر شعبية ميشيل ساردو بأن ماري بيرييه رئيسة تحرير مجلة "ال" النـسائية الشهيرة يعد بمثابة رد اعتبار لمؤسسة الزواج الشرعي في فرنسا بين اثنتين من وجوهها المحبوبة بعد أن شاعت في الستينيات والسبعينيات والثمانينيات موجة التحرر والحرية بلا حدود وسادت العلاقات الحرة بين الرجل والمرأة دون زواج.. أما السبب الثاني في رأيي فهو أن ذلك الزواج قد باركته النساء الفرنسيات باعتباره انتصارا للخبرة وللمرأة العاملـة المثقفة مما يعد مخالفًا للأسطورة الفرنسية المحفورة في الوجدان الفرنسي منذ بداية هـذا القرن وحتى الآن حيث اعتاد نجوم الفن خاصة خـلال الأعـوام الثلاثـين الأخيـرة أن يتزوجوا من "لوليتا" أو فتاة جميلة صغيرة السن أو فنانة علي أول طريق الشهرة تقتـرن بالنجوم لتصعد علي اكتافه.. فها هو المطرب الأكثر شعبية منذ ثلاثين عام يقرر الـزواج هو أن النجمين هما رمز لجيل الستينيات الذي تغني بالحب والرومانسية والأمل وتغلـب علي العراقيل والتغيرات التي حدثت في تلك الفترة ليتوج قصة حبه في النهاية بـالزواج الشرعي.. إنها قصة جيل عاصر بداية حركات التحرر خاصة حرب تحريـر الجزائـر وعصر ميتران وثورة الشباب وموسيقي الروك أند رول والأفكار الوجوديـة والتغيـرات التكنولوجية والعنف المتفاقم في كل بقاع الأرض.. وفي النهاية اكتشف أن الأسـرة هـي المرفأ الآمن والزواج الشرعي هو أفضل صورة الارتباط الجاد بين رجل وامرأة. إنهـا عودة إلي تقاليد الأسرة، كما يعرفها أهل الشرق التي افتقدها المجتمع الغربي طويلا فـي الأعوام الخمسين الأخيرة.

١٩٩٩

الموناليزا وسر ابتسامتها

"الحب يصنع المعجزات" هذه العبارة قفزت إلي ذهني وأنا واقفـة أمـام لوحـة موناليزا "أشهر لوحة فنية علي مر العصور"، والتي رسمها الفنـان العبقـري الإيطـالي ليوناردو دافنشي والتي أطلق عليها اسم "الجيوكاندة".. إن هذه التحفة البديعة التي انتهـي منها في عام ١٥٠٦ والموجودة في القاعة رقم "٦" بمتحف اللوفر بباريس تحظي بنصيب الأسد في رقم الزائرين لها يوميا.. وهي أكثر لوحة يقف أمامها الزائرون محاولين فهـم أغوارها، ورغم أن متحف اللوفر يضم ٣٠ الف قطعة فنية غلا أن الكل يقـف مدهوشًـا وحائرا أمام ابتسامة موناليزا التي قيل فيها عدة تفسيرات.. منها أن دافنشي قـد أحبهـا.. ومنها أن كانت زوجة لرجل آخر لكنها تحب دافنشي.. ومنها أيضا أنها لم تحب دافنشي، وإنما كانت وجها جميلا اختاره هو ليرسمه.. تفسيرات كثيرة قيلت من الفنانين والمؤرخين والنقاد.. ولكن كل ذلك لم يمنعني من محاولة فهم سر تلك الابتسامة الغامضة لذلك الوجه الجميل الذي وضعوه بطريقة خاصة ضمانًا للحفاظ عليه.. فاللوحة موضوعة بداخل إطار زجاجي غير قابل للكسر وحولها سياج حديدي ضمانًا لعدم الاقتراب أخذت أتأمل تفاصيل وجهها طويلاً ووجدت في عينيها وهجا لا يصدر إلا من عين امرأة عاشقة.. نعم أن تلك المرأة لم تكن مجرد وجه جميل رسمه فنان مبدع.. بل أن ورائها بلا شـك قـصة حـب متبادلة بين الاثنين لكنه الحب المستحيل الذي منعته الظروف من أن يتحقق فلجـأ الفنـان إلي ريشته كوسيلة ليري حبه النور.. أن تلك الابتسامة الغامضة ورائها حزن دفين وأنين مكتوم وأحاسيس عميقة إنها تريد أن تقول ولكنها لا تقول تهمس لمن يريد الفهم ولكنها لا تبوح علانية.. أما تلك الدقة المتناهية في الاهتمام لكل تفاصيل الوجه والأصابع واليـدين وخصلات الشعر وثنايا الفستان فلا يمكن إلا أن تكون من صنع عاشق غارق في حبه إلي حد الافتتان بالمحبوبة.. إن هذه اللوحة تمثل قمة إبداع العبقري دافنشي الذي ولد في عام ١٤٥٤ وتوفي في عام ١٥١٩.. هي الدليل الحي علي قصة حبه للموناليزا التـي أراد أن تظل شاهدا علي عشقه لها من بعده.. تلك المرأة ذات الغموض والكبرياء الذي اسـتطاع من خلال فنه أن يجعلها من أشهر جميلات التاريخ مثل كليوباترا ونفرتيتـي وسـالومي وديانا أما هي فإن حبها المختبئ بين الضلوع قد جعلها تقدم له أجمل تعبيرات يمكـن أن يمنحها لنا واحدا من أعظم الفنانين علي مر العصور.. لأن هذه اللوحـة تعتبـر علامـة فاصلة في تاريخ الفن التشكيلي حيث سار علي دربه الكثيـرون مـن حيـث الاهتمـام بالتفاصيل الصغيرة والدقيقة في لوحاتهم.. ولولا شعلة الحب التي سرت في شرايين القلب

ما استطاع دافنشي أن يخرج لوحة بهذا الجمال وما جعل العالم يستمتع بهذه التحفة الفنيـة التي لا يزال الزائرون يأتون لرؤيتها من كل أنحاء العالم حتى الآن.

١٩٩٩

باريس وقواعد المرور

المثل الفرنسي يقول "إن الأهم من الطريق هو الخطوة الأولي" وهذا المثل يطبـق علي كل شيء هنا وخصوصا علي الشارع في عاصمة النور فرغم الزحام الشديد خـلال شهور الصيف لكثرة عدد السائحين الذي وصل إلي أكثر من ستين مليون سائح أي أكثـر من عدد سكان فرنسا نفسها فمن اليابان وحدها يأتي ثلاثة ملايين سائح سـنويا ليـشاهدوا معالم باريس ويستمتعوا بالخدمات السياحية المتاحة بها إن هذا الشلال البشري السنوي لم يمنع الفرنسيين من تطبيق قواعد المرور ومن الحفاظ علي المظهر الحـضاري للـشارع الباريسي بالذات.. فرغم أن شارع الشانزلزيه أشهر شوارع العالم يكتظ كل ليلة بأعـداد هائلة من مختلف الجنسيات من كل القارات وبالذات الوجوه العربية واليابانية والأمريكيـة فإن هذا لا يعني أبدا عدم احترام إشارات المرور الحمراء، فالكل هنا يقف أيا كانت هويته أو أهميته في السلم الاجتماعي حتى تضئ الإشارة الخضراء.

ومن أجل تطبيق الخطوة الأولي ابتكر الفرنسيون وسيلة طريفة وسـهلة لتعلـيم الصغر ضرورة احترام إشارات المرور فوضعوا بداخل كل إشارة مرور إشارة مـرور صغيرة في متناول نظر الطفل من منطلق التعليم ومن منطلق الحفاظ علي حياته، كـذلك ثمة قوانين مشددة وعقوبات رادعة لكل من يخرق إشارة المرور.. إذ تسحب منه فـورا أربع نقاط من نقاطه الأثنتي عشرة المتاحة له طوال حياته.. فإذا ما خرقهـا مـرة ثالثـة تسحب منه رخصة القيادة مدى الحياة كذلك ومن أجل حفظ النظام بشارع الشانزلزيه تقف شرطة المرور في كل الأركان وفي مفارق الطرق لتحقيق في أية حادث مرورية ومعاقبة المخطئ فورا ولضمان عدم إفلات المخطئين تلجأ الحكومة إلي جميع الوسـائل الممكنـة والمبتكرة أيضا، فلقد نشر منذ أيام إعلان طريف في الصحف الفرنسية تحت عنوان طلب شهود وذلك في محاولة للوصول إلي حقيقة ملابسات حادث وقع صباح يوم ١٧ أغسطس بميدان باريس مما أسفر عن إصابة سائق درجة بخارية بواسطة سيارة مسرعة.. هذا من ناحية الحفاظ علي النظام والأرواح وتبقي أهمية اللمسات الجمالية علي نظافـة الـشوارع رغم الزحام وهو أمر لا يقل أهمية في نظر الفرنسيين عن احترام قواعد المرور وهكـذا فإنني حين أنظر إلي شارع الشانزلزيه أجده يبدو كعقد اللؤلؤ لبراق المضاء طوال الليـل. فهذا الشارع هو قبلة الزائرين من كل أنحاء العالم ولهذا نجد جميع الخدمات السياحية التي تكفل قضاء وقت جميل فيه متاحة وجودة فهنا المطاعم الصغيرة والكبيرة وهنا المقـاهي المتناثرة في كل ركن وهنا دور السينما الأنيقة وهنا أيضا الملاهي والاستعراضات مـن

كل لون.. وهنا يأخذني التفكير رغما عني إلي الشارع المصري فلا أجد في مصر شارعا سياحيا يكون قبلة للسائحين.. وأتساءل رغم عني متي نضع حدا لفوضى الشارع المصري وحتى ندرك أهميته كواجهة حضارية لنا؟؟

١٩٩٩

قصر فرساي والسياحة

من منا لا يعرف الملك لويس السادس عشر وزوجته الملكة ماري أنطوانيت الذين أطاحت بهما ثورة الشعب الفرنسي في عام ١٧٨٩.. من منا لم يقرأ عن تفاصيل ثورة شعب ثار علي الاستبداد وأعلن الجمهورية.. أخيرا أتيح لي أن ارى قصر فرساي وحديقة "التويلري" الشهيرة المحيطة به والتي زحف عليها الشعب الثائر ليطالب بالتغيير.. رأيت كل ذلك ولكنني رأيته باعتباره واحدا من أهم المعالم السياحية لفرنسا التي يحرص الفرنسيون هم ملوك التقاليع في العالم فإنهم أيضا قد ابتكروا أساليب جديدة وجميلة لجذب السائحين والاستفادة بهذا القصر كمصدر للدخل القومي لبلادهم.. فقصر فرساي هو منظمة سياحية متكاملة هدفها جذب الزائر لقضاء يوم كامل ممتع في أحضان التاريخ.. ولهذا نجد الخدمات متاحة للكبير والصغير ولكن بشرط أن تتبع النظام وأن تنتظر دورك في الطوابير الطويلة المنتشرة في كل مكان.. فلكي ترى حديقة القصر الشاسعة المترامية الأطراف لابد أن تستقل "الطفطف" أو الأتوبيس السياحي الصغير المفتوح الجانبين وتوجد بداخل الحديقة بحيرة شاسعة رائعة يتم استغلالها كمصدر للدخل أيضا. إذ انتشرت بداخلها المراكب التي يمكن استئجارها للنزهة فيها.. وعلي الحديقة المحيطة يستلقي مئات السائحين الذين يفترشون أرضها للتمتع بالمناظر الطبيعية الخلابة.. وحاو البحيرة تناثرت المطاعم الصغيرة ومحلات الحلوى والأيس كريم والسندوتشات السريعة والمياه الغازية كما أقيمت أكشاك لبيع الصحف والكتب والكروت الملونة.. والهدايا التذكارية.. وحين وصلت إلي القصر وجدته محاطًا ببحيرة أخرى تعتبر تحفة فنية في حد ذاتها لأنها محاطة بالتماثيل الرخامية العملاقة.. وساحة استغلتها الحكومة لإقامة الحفلات الفنية الموسيقية. ومن التقاليع اللافتة للنظر أيضا والتي يحرص السائحون علي التقاط الصور لها.. بعض الممثلين الذين يتقمصون الشخصيات التاريخية ويتجولون بداخل أنحاء الحديقة.. فيمكنك مثلاً أن ترى نسخة من ماري أنطوانيت أو من الملك لويس السادس عشر يسيران إلي جوارك.. كذلك تقليعة أخرى مبتكرة للانتقال من مكان إلي آخر هي العربة الكبيرة التي تجرها الخيول.. قبل انصرافي تذكرت رغما عني آثارنا وضرورة الاستفادة منها.. فهم هنا مثلاً لا يجدون مشكلة في مزج المتعة بالتاريخ. وأهمية قضاء يوم سعيد بين الآثار والمعالم.. ولا يقدمون للزائر خدمة بدون مقابل. ولهذا يستفيد الزائر ويستفيد أبناء الشعب الفرنسي وتستفيد الحكومة من تاريخها من أجل رفع مستوي معيشة أبنائها وتنمية مستقبلهم من خلال الدخل السياحي المرتفع.

١٩٩٩

صيف كتابي جدا في باريس

لأن الفرنسيين يعشقون الثقافة.. ولأن باريس هي مدينة النور التي تنطلق منها أحدث الصيحات الجديدة في كل المجالات.. فلقد أطلقت باريس في صيف ٩٧ موضة جديدة ورفعت شعارا يتناسب مع هذه الموضة.. أما الموضة فهي "الكتاب" وأما الشعار فهو صيف كتابي "جدا" ولهذا صدرت مجموعة جديدة من الكتب في مختلف الأنواع الأدبية والتي تعد دعوة للقراءة فمنها الرواية والقصة القصيرة والتاريخية. وكتب الجيب.

والمهم هنا أنني ما إن بدأت أتلفت فيما حولي ورغم حرارة الجو وانشغال الناس في الأجازات إلا أنهم يقرأون في كل مكان فالكتاب في الأيدي.. في المترو، وفي المقاهي وأيضا علي الشواطئ.. وأيا كانت دعوة الكتاب للتفكير أو للحلم أو للتأمل أو للمعرفة فإن هذا الصيف هو صيف القراءة في فرنسا.

وهنا سأصحب القارئ في رحلة بداخل صفحات أهم الكتب الجديدة التي صدرت حديثا والتي تحقق أرقاما قياسية في المبيعات وتلقي رواجا بين القراء.. أو لحصولها علي جوائز أدبية مهمة هذا العام.

أول كتاب يتصدر ركن الكتب الأكثر مبيعا هو رواية للأديب الفرنسي المعروف والتي تمتلك كتبه جاذبية خاصة لدي القراء في فرنسا وخارجها هو باتريك موديانو (٢٥ عاما).. أما روايته التي تبيع أرقاما هائلة وتتصدر المبيعات فعنوانها "لورا برودر".

ويدور موضوع الرواية حول فتاة فرنسية شابة هي "لورا برودر" عاشت في فرنسا إبان الاحتلال الألماني لها.

وقد حفزت قصة هذه الفتاة الفرنسية الشابة علي البحث عنها وعما حدث لها.. أي أن كتابة الرواية بدأت بحماسة البحث المرتفعة التي يمتلكها موديانو.. وذلك حين وقع بين يديه بالمصادفة عدد قديم من صحيفة "باريس سوار" بتاريخ ٣١ ديسمبر ١٩٤١. حيث نشر والد الفتاة نداء للبحث عن فتاة مفقودة في سن الخامسة عشرة واسمها لورا برودر والتي ينتظرها والدها في ميدان أورنانو.. أو أي خط قد يدل علي مكان ابنتهما المختفية.. ويسيطر علي الرواية مناخ الاحتلال وأهواله وتبعاته والبحث عما آلت إليه الفتاة ذات المصير المجهول.

وخلال الرواية يوجه المؤلف نداءات إلي من يعرفونها أن يتذكروها فربما يكونون قد التقوا بها.

أما الرواية الثانية فهي للأديب الألماني برنار سلينك وهي مترجمة إلي الفرنسية وعنوانها "القارئ" وهي رواية ذات مستوى رفيع لهذا حصلت علي العديد من الجوائز الأدبية في ألمانيا ويدور موضوعها حول بطلين هما مايكل وهانا، وتبدا وقائع الرواية حين كان مايكل يبلغ من العمر خمسة عشر عاما، وأثناء انصرافه بعد يوم دراسي يلتقي بشابة جميلة تكبره بخمسة عشر عاما، وما يلبث مايكل أن يقع في حب هانا التي تبادله حبا بحب والتي يحلو لها حين يجلس إليها أن تسمعه يقرأ لها الروايات الأدبية بصوته.. ثم تمضي السنوات وتختفي هانا ويتحول القارئ مايكل إلي قاض، ثم يلتقي فجأة بهانا في قفص الاتهام حيث يبدأ خلال محاكمتها في اكتشاف سر حياتها الذي أخفته عنه.

أما كتاب "الحبشة" فهو كتاب من الحكم الكبير لكنه يلقي نجاحا بين القراء وهو من تأليف الأديب الفرنسي "جون كريستوف روفين" وقد حصل علي جائزتين أدبيتين في فرنسا هذا العام.. هما جائزة "الجونكور" للرواية الأولي. ثم جائزة "البحر المتوسط" وكلتاهما جائزة مهمة في فرنسا. أما موضوع الكتاب فإنه يستند إلي واقعة تاريخية حدثت بالفعل.. وأحداثه كلها من التاريخ حيث يتم تبادل العلاقات الدبلوماسية بين الملك الفرنسي لويس الرابع عشر والملك الأكثر غموضا والأكثر تقلبا من ملوك الشرق وهو الملك "الفاجوس" ملك الحبشة.. ويدور الكتاب حول هذه العلاقة المذهلة من خلال بطل الرواية وهو طبيب شاب يعمل لدي باشوات القاهرة وهو جون باتسيست بانسية ثم يتحول إلي سفير لملك الحبشة لدي الملك لويس الرابع عشر بفعل عدة ظروف متشابكة وتمضي الحكاية الشاعرية والمدهشة عبر صحراء سيناء ومرتفعات الحبشة ومن بلاط الحبشة إلي قصر فرساي والعودة.

وتمتزج خلال القصة: المغامرة بالصداقة بالاكتشاف بالحب لتشد القارئ وتصحبه معها في رحلة ذات مناخ جذاب ومدهش في آن واحد.. وبفضل هذا الطبيب فإن الحبشة ستنجو من محاولات غزوها خارجيا وتظل محتفظة إلي اليوم بكبريائها وبغموضها، إن رحلة جون بانسيه وحبيبته اليكس.. وقصة حبهما تتحول إلي حكاية تدعو إلي كراهية التطرف وإلي قوة الحرية وإلي إمكانية السعادة.. وهي رواية تاريخية من الحجم الكبير تقع في ٥٨٠ صفحة.

وانتقل إلي كتاب آخر يلقي رواجا كبيرا ويعود بالذاكرة إلي فترة مازالت تلهب القراء للغوص فيها وفي أسرارها ووقائعها الحقيقية.. أما الكتاب فإنه بحث يتعقب فيه المؤلف رحلة نابليون في أيامه الأخيرة وهو يكشف أيام الأسر والانغلاق وهو تأمل تاريخي وبحث دقيق يؤكد أن نابليون قد مات مسموما بفعل سيطرة الحنين الجامح إلي

النصر والندم علي ماضيه واضمحلال إمبراطوريته وتتناول الأحداث ضياع نابليون وسط جنوب المحيط الأطلنطي في جزيرة سانت هيلانه حتى لا يمكنه الفرار حيـث اصـطحبه الإنجليز إلي هناك بعد هزيمة منكرة في موقعة واترلو.. في هذه الدراسة التاريخية التـي صدرت بعنوان "غرفة لونجوود السوداء" لمؤلفها جون بول كوفمان نـري الإمبراطـور نابليون بونابرت يجاهد لمدة خمس سنوات ونصف السنة أن يحتفظ بكبرياء الملك رغـم المهانة والإذلال وهناك يضطر إلي مواجهة الفئران والرطوبة.. والهزيمة الأخيرة.. وقـد حصل هذا الكتاب علي جائزة أدبية فرنسية مهمة هي "فيمينا".

وأيضا هنا في باريس صدرت كتب أدبية مهمة تلقي رواجا مثل رواية "سمكة من ذهب" للأديب الفرنسي لوكليزو كما صدرت ترجمة بالفرنسية لرواية "الـشحات" لأديبنـا الكبير نجيب محفوظ وأيضا ترجمة لرواية الأديب جمـال الغيطـاني.. "وقـائع حـارة الزعفراني".. وهما روايتان تحظيان بإقبال من القراء.

١٩٩٧

التليفزيون والعنف

لأن التليفزيون صار ضيفًا علي كل بيت ومقهى وناد فمن الضروري تحري الدقة في نوعية الأفلام التي تقدم لنا عبر شاشته.. فمنذ فترة دأب التليفزيون المـصري علـي تقديم نوعية من الأفلام الأجنبية الدموية المليئة بمشاهد العنف والقتل وسفك الدماء.. سيل منهمر من تلك الأفلام صار سيلاً منمرا من تلك الأفلام، صار يقتحم بيوتنا بلا اسـتئذان وكأنه قد أصبح تيارا.

ولهذا أتمني من المسئولين إصدار تعليماتهم بمراعاة الدقة فـي اختيـار الأفـلام الأجنبية التي ستقدم لنا مستقبلاً.. وأنا أعلم أن رئيسة التليفزيون حريصة كـل الحـرص علي المشاهدين بدليل تقديم نوعية أخرى هادفة وجيدة من الأفلام الأجنبية التي تقدم علـي شاشتنا.

ولأنني حيث جفست لمشاهدة أحد هذه الأفلام أحجمت في البداية عن الكتابة عنها اعتقادا مني بأن ما أراه ربما يكون فيلما واحدا أفلت من لجان المشاهدة أو ربما يكون من ورائه مغزى نبيل، أو هدف إنساني عظيم.. ولكن للأسف الشديد وجدت أن الفيلم يـدور حول سفاح نساء مريض نفسيا قبيح الشكل والسلوك هوياته قتل النساء بعد تعذيبهن نفسيا وبدنيا.. وتتوالي المشاهد أمام عيوننا جريمة وراء أخرى.. مشاهد دماء وصراخ وذعـر الضحايا واستمتاع السفاح في نفس الوقت حتى بلغ عدد ضحايا هذا القاتل ١٣ ضحية وفي النهاية وفي اللحظات الأخيرة فقط تمإلقاء القبض عليه بواسطة البوليس الأمريكي.. مثـال آخر فيلم طويل عرض لمدة ثلاث ليال في شهر رمضان تدور قصته حول صراع بـين زمرة من الرجال الفاشلين وقبائل الهنود الحمر في الصحراء الأمريكية.. وبدون مناسـبة تتوالي مشاهد سفك الدماء والذبح والقتل وسلخ فروه الرأس والصراخ والذعر واشتباكات دموية بلا مغزى ولا هدف.. مثال ثالث لفيلم عرض في عيد الفطر مباشرة يدور حـول سفاح أمريكي مريض نفسيا هوياته أيضا قتل الراهبات والنساء بعد تشويههن وهو لا يسقط إلا في آخر لقطة من الفيلم بواسطة شرطية ورجل بوليس بعد أن يكون قد طعـن أمـام المشاهدين زوجته بسكين في جسدها ونراها ممددة علي الأرضية غارقة في دمائها تحاول الصراخ ليسمعها أحد ويأتي لإنقاذها.. من منا يطيق مثل رؤية هـذه المـشاهد الدمويـة الغارقة في القتل والعنف؟؟ لقد حاولت أن أبحث عن درس يستقي من وراء عرض هـذه الأفلام الرديئة فلم أجد إذ أننا حتى لو كان المغزى هو إن الجريمة لا تفيد.. فإن الـدرس هنا لا يصل إلا في آخر لحظة فقط أي أن الدرس يجيء بعد فوات الأوان.. بالإضافة إلي

أن معظم هذه الأفلام ضعيفة المستوي فنيا ولا تصلح لأن تعرضها علي الشاشة المصرية خاصة ونحن في عصر الفضائيات لذلك علينـا أن ننتبـه إلـي أن الأطفـال والـشباب والمراهقين يشاهدونها وهنا مكمن الخطر لأنهم في مرحلة التكوين والتأسيس ولم يـصلوا بعد إلي النضج الذي يمكنهم من الحكم الصحيح علي الأمور والنقـد البنـاء للفـن.. إن التليفزيون أصبح عاملاً أساسيا في تشكيل عقلية المشاهد وفي تكوين ثقافته ومن هنا فلابد أن ننتبه إلي عظمة تأثيره علي المتلقي.

ولهذا فإنني أتمني من المسئولين عن اختيار الأفلام الأجنبية تحري المزيـد مـن الدقة.. فبعض الأفلام جيدة وبعضها الآخر لا يصلح لنا أبدا.. ولأن للتليفزيـون رسـالة ثقافية مهمة أولها تشكيل عقلية الأجيال الجديدة علي أسس سليمة تجعلهـا قـادرة علـي الإبداع والعمل والبناء والتفكير والتحليق في آفاق المستقبل برؤى سليمة ومبـادئ نبيلـة راسخة نابعة من أهمية دور مصر الحضاري والثقافي وأثرها في المنطقة كلها.. ولهـذا فإن علينا دائما أن نعمل علي تقديم الأفضل والأنفع والأجود مهما، كانت الظروف ومهما كانت المغريات.. انطلاقًا من أهمية دورنا هذا.

١٩٩٩

المعرض وقضايا ساخنة

نحن نقف علي عتبة قرن جديد مليء بالتغيرات الكبرى فـي كـل المجـالات.. وانطلاقا من دور مصر الحضاري والثقافي فإنه لابد لنا منن وقفة جادة للإجابة عن بعض التساؤلات الأساسية للدخول إلي هذا القرن الجديد برؤى واضحة وخطي ثابتـة وخطـة شاملة لكن مجالات الحياة وليست مقصورة علي مجال معين.

أما أهم التساؤلات الملحة التي لابد أن نطرحها علي أنفسنا لنصل إلـي إجاباتهـا فهي أين نحن من القرن الجديد؟

هل نحن في حالة حوار مع الآخر أم أننا في مواجهة غزو فكري؟ هـل نكـون مشاركين أم منعزلين؟ ما هو دورنا وسط هذا الزخم من التحديات الكبرى؟ هل يمكننا أن نكون فاعلين في النظام العالمي الذي يتشكل من حولنا.. أم أننا سنكتفي بدور المتلقي فقط فنفقد ريادتنا وخصوصيتنا؟

كل هذه الأسئلة ذات أهمية قصوى فهل استطاع معرض القاهرة الدولي الحـادي والثلاثون الإجابة عنها؟ لاشك في أنه قد أثيرت بعض القـضايا الـساخنة خـلال أيـام المعرض والتي حاولت طرح موضوعات ملحة كثيرة ومتشعبة.

ولقد حرصت علي متابعة العديد من فعاليات المعرض كما شاركت في بعـضها الآخر وفي مجمله حاول الإجابة عن بعض الأسئلة الهامة المتعلقة بالمستقبل نخبـة مـن المثقفين والمسئولين والعلماء والاقتصاديين والفنانين المصريين والعرب أما أهم القـضايا الساخنة التي تعرض لها فنجد منها مثلاً: قـضية الإصـلاح الاقتـصادي والديمقراطيـة والطريق الثالث ودور الثقافة ودور التكنولوجيا ووضع المرأة ودور البترول وكـل هـذه قضايا مهمة طرحت للمناقشة والحوار.

ومنذ اللحظة الأولي لافتتاح المعرض ومن خلال اللقاء الفكري للـرئيس محمـد حسني مبارك الذي ينتظره المثقفون كل عام طرح الرئيس ملامح الأوضاع الراهنة بكـل صراحة ووضوح كما حدد أولوياته في المرحلة القادمة والتي تتركز في قضية الإصـلاح الاقتصادي واستمرار مسيرة السلام وإقامة المشروعات الكبرى وذلك لرفع المعاناة عـن محدودي الدخل ولاشك أن الاهتمام بهذه القضية تحديدا من خلال الرئيس قد بعث التفاؤل والأمل في نفس كل مواطن مصري وكل أسرة تعيش علي أرضها وكل مثقـف مهمـوم بقضايا الوطن، لأنها قضية تمس صميم الحياة ذاتها، كذلك أكد الـرئيس حرصـه علـي

مسيرة الديمقراطية وربطها بالازدهار الاقتصادي كما أكد حرصه علي استكمال مشروعات مصر الكبرى وعلي رأسها مشروع توشكي وندد بمحاولات التشهير بمصر.

ومن القضايا الساخنة أيضا والتي طرحت للمناقشة نظرية "الطريق الثالث" وتحدث عنها د. أسامة الباز المستشار السياسي للرئيس مبارك في لقائه الفكري بالجمهور.

وقال إن هذا "الطريق الثالث" لا يزال في دور التكوين وقد برز أولاً في أمريكا وأوروبا.. وهو محاولة لإيجاد طريق جديد يحل محل الرأسمالية والشيوعية.. وحدد ملامح أساسية للطريق الثالث بالنسبة لمصر تكون نابعة من ظروفنا الداخلية والخارجية.

فأكد أن أول هذه الملامح هو ضرورة وجود دولة قوية لديها الصلاحيات لوضع الضوابط التي تحكم المجتمع وتضمن حقوق المواطنين وتضمن الاستقرار الداخلي واستكمال المشروعات الكبرى الجديدة كذلك أكد ضرورة الحرص علي امتلاك التكنولوجيا ومواجهة التحول الراهن في الأسواق العالمية الكبرى.

ومن القضايا التي شهدت مناقشات جماهيرية:

قضية "القومية" أم العالمية؟؟ إن تلك القضية بالذات تحتاج إلي وضع تصور شامل لكيفية مواجهتها والدخول فيها والتفاعل معها بخطي ثابتة في كل المجالات وأولها التقدم العلمي والتكنولوجي والاقتصادي والفكري والإعلامي حيث لا مكان في القرن المقبل لمن ينعزلون أو يتقوقعون في عالم يتحرك إلي الأمام بخطي متلاحقة ولأننا نمتلك في مصر الفكر المستنير الذي يمكننا من وضع خطط علمية واسعة المدى تمكننا من أن ندخل إلي القرن المقبل بثبات. وكان من بين الآراء التي قدمت تصورها في هذا المجال د. محمود أمين العالم الذي أكد أهمية وجود كتلة عربية واحدة دون إلغاء الخصوصيات للدخول إلي العولمة، كذلك لابد أن تكون هناك خطة تنمية حقيقة فيها الإعلام والثقافة والتصنيع..ويجب أن نبدأ بأنفسنا كنموذج وأن نتمسك بقوميتنا لأن ذلك يكسر من حدة العولمة ولنصل إلي عولمة فيها التقدم والإبداع والخير.. كما قدم في نفس اللقاء د. سعد الدين إبراهيم تصوره مؤكدا أنه لا تخوف من العولمة إذ أنها امتداد طبيعي للتاريخ والجغرافيا والثقافات وهي لا تهدد الخصوصيات بهذا المعني وإنما تقوي الهوية بشرط أن نتفاعل معها ونعرف آلياتها وهي العقلانية والديمقراطية والتقدم التكنولوجي.

أما القضية الساخنة الرابعة التي طرحت للمناقشة فهي تشكل أهمية كبرى لأنها تتعلق بثروة عربية يمكن أن تكون عنصر قوة في دخول القرن المقبل كما يمكن بنفس القرن أن تصبح عنصرا للتفرقة للمزيد من الانقسام بين العرب إذ أسيء استخدامها هذه

القضية هي قضية دور البترول في المستقبل والتي طرحها خلال اللقاء الفكري د. أحمد زكي يماني الذي أكد من واقع خبرته أن ما يحدث الآن هو إساءة لاستخدام الثروة الهائلة من البترول لأن العرب منقسمون ولكن في إمكانهم أن يصبحوا أكثر قوة لأنه في عام ٢٠١٠ سيكون ٥٠% من البترول العالمي من دول الخليج مما يعني أنه يمكن للعرب أن يصبحوا قوة إستراتيجية إذا ما أفاد الحكام العرب من هذا الموقف واستخدموا الحكمة والتعقل والبصيرة كما حدث من قبل أثناء حرب أكتوبر: كما أن مصر هي الفارس الأول في حلبة العرب لمواجهة المستقبل والشعب المصري هو الذي نأمل في الدخول به إلي آفاق هذا المستقبل.

أما القضية الساخنة الخامسة التي حظيت بمناقشات جماهيرية واسعة فكانت قضية وضع المرأة في القرن القادم والتي شاركت فيها الكاتبات فتحية العسال وإقبال بركة وفاطمة العلي وأهداف سويف وكاتبة هذه السطور. أكدت الكاتبات كل من وجهة نظر مكملة للأخرى ضرورة تغير السلبيات الحالية التي تعوق حركة تقدم المرأة العربية وأولوها القضاء علي الأمية ودفع المرأة إلي الصفوف الأمامية والقيادية وغير القوانين والتشريعات المجحفة لها في بعض الأقطار العربية هذا بالإضافة إلي زيادة مشاركتها في المجالس النيابية.. كما أكدن أن الحركة النسوية الراهنة هدفها تحرير المرأة من القيود المختلفة التي تعوق حركتها وانطلاقتها للمشاركة في التنمية والتطور المستقبلي كما أكدن أهمية مساندة الرجل لحركة تطوير المرأة في المرحلة المقبلة.

وكذلك طرحت قضية العلم والبحث العلمي وباعتباره العنصر الأساسي في الدخول إلي القرن المقبل.. وهذا القضية السادسة طرحها د. مفيد شهاب الذي أكد إننا في حاجة إلي ثورة في البحث العلمي لأنه قاعدة الانطلاق إلي المستقبل.. كما أكد د. أحمد مستجير أن مقاليد الأمور ستصبح في يد الأقوى عقلاً كما ستتزايد حاجة الناس إلي الفنون والروحانيات.

هذا بعض ما طرح من قضايا ساخنة تدور حول صورة المستقبل القادم محملاً بتغيرات سريعة ومتلاحقة تتطلب منا وقفة لتحديد المسارات من أجل العبور إلي القرن الآتي بخطي واثقة.

الشباب والتواصل الضروري

اعتقد أن ثمة بشائر يقظة فكرية تتحرك داخل صدور الشباب. يقظة لمستها مـن خلال اللقاءات بهم والندوات الحية التي شاركت فيها معهم.. إن هذا الجيل الشاب الـذي أطلقنا عليه جيل التليفزيون والكمبيوتر هو أيضا جيل البحث عن الحقيقة والمعرفة بل أن لدي الشباب رغبة أكيدة في استقاء المعلومات والفهم وتعطشا كبيـرا للثقافـة. وللعلـم.. وقابليته للاقتناع وللإقناع والإلمام بالكثير من مجريات الأمور.. وهذا يعتبر مؤشرا مهمـا ينبغي لمن يخططون لمستقبل مصر أن يضعوه في الاعتبار إذا كان المطلوب هو العبور إلي المستقبل بخطي سليمة لأن تلك الطاقة الهائلة التي تضطرم في نفـوس الـشباب ذات اتجاهين كلاهما يختلف عن الآخر تماما أولها اتجاه إيجابي يتمثل في الإقبال علي الثقافـة والمعرفة والتعبير عن الرأي بحرية واتجاه آخر سلبي يتمثل في عدم الإفصاح عن الرأي والانصراف عن الثقافة وعن بناء العقل علي أسس سليمة والانعزال مع ما يمثله ذلك من إمكان استغلال طاقة الشباب بواسطة بعض الفئات الضالة الهادفة إلي التخريب والتـدمير ولهذا فإنه من الضروري في هذه المرحلة الانتقالية من حياتنا ونحن نتطلع إلي المـستقبل أو نجيد الإنصات إلي آمال وأفكار واستفسارات الشباب وإن نحسن رعايتهم وأن نحرص علي توجيههم في الاتجاه السليم وأن يكون هدفنا الاقتراب من أفكارهم والاهتمام بهم لهذا فإن التواصل الحقيقي معهم ضروري وحيوي وأساسي للانطلاق بهم في قطار المستقبل.

إن هؤلاء الشباب والشابات الذين رايتهم كشلال هادر يفد مع كـل صـباح إلـي الجامعات والمعاهد لا يزالون في مرحلة البحث عن الهوية ولا تزال لديهم أسئلة كثيرة بلا إجابات بداخل صدورهم.

ولا يزالون في مرحلة البحث عن مسارات لحياتهم وتوجهات لعقولهم.. فإذا لـم نأخذ بأيديهم إلي طريق الثقافة والبناء والعمل الجاد لوطنهم فسوف تلقفهم تيارات أخـرى تستهدفهم وتسعي إلي الهدم والتخريب والعودة إلي ظلام العصور الوسطي.

ولهذا فإنني أطالب كل المسئولين في وطننا إلي إدراك أهمية الثقافة لأنهـا هـي مفتاح الدخول إلي المستقبل ووسيلتنا إلي اقتحام القرن الجديد بعقول واعية ورؤى واضحة وخطوات منظمة واثقة.

١٩٩٩

الأميرة ديانا وصورة أخرى لها

مهما بلغت دقة التنفيذ تظل دائما القيمة الفعلية للأصل.. ومهما حاولت امـرأة أن تقلد أخرى يظل دائما وجه المرأة الأولي عالقًا في الأذهان وكأنه شبح يـرفض نـسخته المقلدة ويؤكد أنه هو الأصل وأن الآخر هو الصورة المصنوعة أقول هذا بمناسبة زفـاف الأمير إدوارد الابن الأصغر للملكة إليزابيث ملكة بريطانيا إلي عروسه صـوفي ريـس جونز شبيهة الأميرة الراحلة ديانا.. ففي يوم زفافها بدت صوفي وكأنهـا صـورة طبـق الأصل من ديانا فموديل الشعر هو نفس موديل شعر ديانا ونفس لون شعرها كما ارتـدت فستانا شبيها بفستان زفاف ديانا ذي الأكمام الطويلة.. ووضعت فوق رأسها نفس موديـل الطرحة الطويلة التي تغطي الوجه.. بل رسمت نفس الابتسامة الخجول التي كانت تميـز ديانا لحظة دخولها الكنيسة، وهنا أطل علينا وجه ديانا مرة أخرى ليتذكرها العالم وكأنهـا مازالت موجودة ولم تمت وبدأت الصحف والمجلات تقارن بينهما فهـل تـستطيع تلـك العروس الجديدة التي تحظي برضاء العائلة المالكة، وفي مقدمتها الملكة إليزابيث أن تأخذ مكانة ديانا في قلب الشعب البريطاني؟.. هل هذه العروس الجديدة التي أقسمت علي طاعة زوجها وهو قسم رفضت أن تتفوه به ديانا هل ستتمكن أن تصبح محـط أنظـار العـالم كالراحلة ديانا؟ أنا شخصيا لا أعتقد هذا لأن ديانا تحولت إلـي رمـز للحريـة وللخيـر وللتحرر وكانت امرأة ذات ملامح وسمات خاصة بها كما كانت تتمتع بجاذبيـة طاغيـة خاصة بها.. ورغم كل ما قيل عنها وما قالته هي شخصيا عن حياتها الشخـصية ظلـت معبودة الشعب الإنجليزي وظلت محطًا للأنظار أينما ذهبت.. وهي قبل كل هـذا امـرأة آثرت أن تصبح أميرة للقلوب وليست أميرة البلاط الملكي إذ انغمست بالكامل في الأعمال الإنسانية والخيرية ورأست المئات من المؤسسات الخيرية كما حفظت لنفسها مكانة لـدي المرضي والفقراء والمحتاجين بلفتاتها الحانية عليهم وتكريسها جهودها لجمع الأموال لهم. وكأنها مسئولة عن كل واحد منهم.. واستطاعت من خلال هذا العطاء الإنساني المخلـص أن تصبح أبرز شخصية في بلادها، وأن تخطف الكاميرات من أفراد العائلة المالكة حتى بعد ابتعادها عن البلاط الملكي، أما الدليل علي شعبيتها الكاسحة فهو تلك الملايـين مـن أفواج البشر التي تسابقت للمشاركة في جنازتها أو التي بكتها في بلادها وفـي مختلـف أنحاء العالم.. ولهذا إذا حاولت امرأة أخرى أن تحتل مكانتها أو تتـشبه بهـا فإنهـا لـن تستطيع أن تمحو كلمات رددتها عن نفسها إذ قالت يوما "أريد أن يتذكرني الناس كـأميرة للقلوب، هكذا أرادت لنفسها.. وهكذا استطاعت أن تنتزع لنفسها مكانة في القلوب. وفـي ذاكرة التاريخ كواحدة منن أشهر نساء القرن العشرين.

١٩٩٩

الأدب وقضية الاستنساخ

فجأة أصبحت النعجة "دوللي" من أشهر الأسماء في القرن العـشرين وتـصدرت قائمة أهم الاكتشافات العلمية في تاريخ البشرية وصار الجميع يرددون اسمها فـي كافـة أنحاء العالم بدءا من المختبرات العلمية ومرورا بالأوساط السياسية والدينية والاقتـصادية والاجتماعية والصالونات الثقافية واللقاءات النسائية وبداخل جدران البيوت وحول الموائد الأسرية.. لم يعد هناك حديث الآن سوي عن "دوللي" وقضية الاستنساخ البشري وآثـاره علي مستقبل الإنسانية.

لقد أصبحت النعجة "دوللي" التي أنتجت من خلية واحدة أخذت من أمهـا النعجـة البيضاء لتخرج إلي الحياة كائنا حيا نسخة طبق الأصل منها قضية تشغل الـرأي العـام وتثير الخوف من المجهول خوفًا من تطور الفكرة إلي حد استنساخ بشر اعتمادا علي هذا الاكتشاف العلمي الخطير.

ثار الساسة ورجال الدين والعلماء وانتاب الإنسان العـادي الفـزع مـن فكـرة الاستنساخ البشري وقد جاء أول رد فعل من الولايات المتحـدة حيـث أعلـن الـرئيس الأمريكي بيل كلينتون ضرورة إيقاف الأبحاث حتى يتم وضع ضـوابط أخلاقيـة لهـذا الاكتشاف العلمي الخطير.

وفي القاهرة حدثت زوبعة مدوية لم تهدأ حتى الآن وحتى بداخل البيوت لا حديث إلا عن فكرة الاستنساخ البشري حتى إنني أثناء مأدبة غذاء نسائية تضم حوالي ٧٠ امرأة من كافة المجالات: الإعلاميات والصحفيات وربات البيوت وسـيدات الأعمـال سـادت المناقشات حول هذه القضية: منهن من تقول إن استنساخ البشر قد يـؤدي إلـي جـرائم مستقبلية وإنه ضد إرادة ا سبحانه وتعالي خالق السموات والأرض وإنه اكتشاف علمـي لا يعلم أحد تداعياته حتى الآن ولا المضاعفات التي يمكن أن تحـدث عنـه مـن خلـل اجتماعي لو استطاع الإنسان أن "يستنسخ" شبيها له.

هذا بينما جنح البعض منهن إلي الدعابة في الأمر فمنهن من قالـت "إن بإمكـان العلماء أن يطوروا لنا رجلاً نموذجيا ليست له سلبيات الرجل الشرقي الذي ما يزال حتى الآن يفضل أن يكون متفوقًا علي المرأة ومتبوأ لأهم المناصب القيادية وسيدا فـي البيـت وفي العمل مهما كانت مميزات المرأة التي أمامه في المنزل أو فـي العمـل!. ضـحكت أخرى وقالت: قد أستطيع إيجاد نسخة أخرى من زوجي المتوفى الذي كان رجلاً كريمـا عطوفًا لم يعوضني عن فقده أحد حتى الآن.

أما في نقابة الأطباء فقد عقدت ندوة هامة تحت عنوان "استنساخ الخلايا وتداعياته" حضرها عدد كبير من العلماء والأطباء وبعض رجال الدين والطلبة منهم د. حمدي السيد نقيب الأطباء المصريين والشيخ نصر فريد واصل مفتي الديار المصرية والأنبا موسي الأسقف العام للشباب نائبا عن الأنبا شنودة بطريرك الكرازة المرقسية.

وخلال الندوة تحدث نقيب الأطباء د. حمدي السيد علي ضرورة وضع ضوابط وقوانين تحكم مثل هذه العمليات وتشديد العقوبة علي المخالفين خاصة التي تقوم بتمويل هذه الأبحاث من شركات الدواء العالمية والعاملة في مجال الهندسة الوراثية.. وأكد الشيخ نصر فريد واصل علي أن الاستنساخ البشري غير جائز من الناحية العلمية والطبية والإنسانية بل ومن الناحية الأخلاقية والاجتماعية.. وأكد علي أن الإسلام مع العلم الذي يخدم البشرية، وقد كرم ا العلم والعلماء وجعل مرتبة العلماء الذين يخدمون البشرية في مرتبة الملائكة وفضل ا العالم علي العابد فالعلم الذي يخدم البشرية نحن نؤيده ونسانده أما العلم الهدام فنحن نشجبه وندحره.. ويجب علي العلم أن يحافظ علي الدين والنفس والنسل والعقل والمال فهذه ضروريات خمس أما الاختلال في أحداهم ففيه فساد للبشرية.. وعلي هذا فإن الاستنساخ البشري غير جائز شرعا ولكن يمكن أن يتوجه هذا العلم إلي استنساخ أحد أعضاء الجسم مثل الكبد والكلي لحاجة بعض الأفراد غليها وإنقاذ حياتهم من الهلاك.

ومن ناحية أخرى بدأت مراكز أبحاث استطلاع الرأي العام الكبرى في استطلاع آراء المواطنين.. فتبين أيضا أن هناك ثمة رفض وتخوف من هذا الاكتشاف العلمي الذي توصل إليه عالم انجليزي هو د. ايان ويلموت بمؤسسة "روسلين" بالقرب من ادنبرة باسكتلندا ففي استطلاع قامت به محطة C.N.N مع عينة أمريكية من ١٠٠٥ مواطنين بالغين.. كانت النتيجة كالآتي ردا حول ثلاث أسئلة خاصة بقضية "الاستنساخ".

السؤال الأول هو: هل الاستنساخ البشري هو عمل ضد الإرادة الإلهية: فقال ٧٤% من العينة العشوائية نعم.. وأجاب ١٩% فقط بالنفي. والسؤال الثاني هو هل نضع قواعد علي استنساخ الحيوانات فأجاب ٦٥% منهم بالإيجاب و٢٩% منهم بالنفي، أما السؤال الثالث فهو لو أتيحت لك الفرصة: هل توافق علي استنساخ نفسك فقال ٧% فقط منهم نعم.. أما الأغلبية وهي ٩١% فقالت لا.

ولكن ما هو مستقبل هذا الاكتشاف العلمي الخطير؟؟ هذا السؤال طرحته علي نفسي.. فوجدت أن هذا الاكتشاف العلمي الخطير يطرح عدة أفكار تثمر قصصا جديدة.. وعلي هذا فإنني علي المستوي الإبداعي أجده مادة مثمرة للأديب الذي يسعي للتحليق إلي

آفاق جديدة في سماء الإبداع.. فأنا بطبيعتي أهوي الدخول إلي دهاليز الـنفس الإنـسانية بغية استكشافها.. واستنطاقها.. ووجدت من خلال المزج بين الواقـع المعـاش للإنـسان ومحاولة استكشافها خبايا نفسه الكامنة بداخله والتي تحرك أفعاله أن ثمة مستويات متعددة في طيات هذه النفس بحيث أن الإنسان أحيانا قد يقدم علي فعل فج لا يكون فـي طبعـه الأصيل ولكنه يكون قد تم بناء علي شيء مختبئ بداخل طيات نفسه.. وهكـذا بالبحـث والتحليل والتحليق في سماء الإبداع وجدت تركيبات جديدة للإنسان المعاصر والـذي قـد يحمل تناقضات متباينة بداخل كل منا.

إن هذا الخبر العلمي الجديد الخاص بفكرة الاستنساخ البشري يلمس بداخل المبدع وترا هاما بداخله وهو وتر الإبداع الفني. لأنه يخص حقيقة معروفة وهي وتر الخوف من المجهول الكامن بداخل النفس البشرية أمام الاكتشافات العلمية التـي قـد تحـوي البنـاء للبشرية وقد تحوي التدمير أيضا.. ولهذا فإنني بدأت بالفعل في كتابة قصة جديدة تـدور حول فكرة استنساخ امرأة أخرى من امرأة واحدة وما يحدث بعد كل هذا لكـل منهمـا.. ولذلك بناء علي اختلافات نفسية كائنة بداخل كل نفس علي حدة.. لأنني أعتقد أنـه مـن الصعب تخيل إيجاد نسخة طبق الأصل من شخص آخر تحمـل نفـس مكونـات نفـسه الإنسانية.

ولكن حتى يتم حسم هذا الموضوع فإنني أعود بالذاكرة إلي روايـة "فرانكـشتين" التي كتبتها في القرن التاسع عشر الأديبة ماري شيلي حول العالم "فرانكشتين" الذي قـرر أن يصنع إنسانًا حيا كامل الأوصاف ولكن بدلاً من ذلك يكتشف بأنه بدلاً من أن ينتج من تجميع أعضاء بشرية من رجال متفوقين إنسانيا مثاليا فإنه يخرج وحشًا أدميا يثير الرعب في نفوس البشر. وقد بيعت الرواية بأرقام خيالية وتحولت إلي فيلم سـينمائي قـدم مـن وجهات نظر متعددة في جميع أنحاء العالم وأخرجت منه مسرحيات بمعالجـات مختلفـة وهكذا حققت ماري شيلي من فكرة علمية خاصة بنظرية النـشوء والارتقـاء لـداروين وتجربته علي مدى تأثير التيار الكهربائي في الأعضاء الحية عملاً أدبيا حقق لها الـشهرة العالمية والخلود في تاريخ الأدب العالمي.

والآن يقف العالم كله رجاله ونساؤه ساسة ورجال الدين والعلماء موقف الخـوف والرفض والترقب لهذا الاكتشاف العلمي الخطير في مجال الهندسة الوراثية الذي فرقع في جميع أنحاء العالم شماله وجنوبه ولم يهدأ الحديث فيه حتى الآن.

وما سيحدد المستقبل بالنسبة لقضية الاستنساخ البشري هو إحدى كفتين: ففي الكفة الأولي يقف العلم الذي سيحدد لنا هل الاستنساخ البشري ممكن وهذا ما يزال أمرا غيـر معلوم فهو ما يزال في رحم الغيب.

وفي الكفة الثانية يقف الإنسان بكل فئاته ليحـدد هـل يجـب الاسـتمرار فـي الاستكشاف العلمي أم ينبغي التوقف عند هذا الحدي خوفًا من المجهول؟

وبين هذا وذاك يقف الأديب المبدع مفكرا ومتفرجا ومراقبا ومحللا ليقدم فنا قـد نراه في رواية أو قصة أو مسرحية جديدة أو لوحة تشكيلية ليستمتع به الملايين ويفكـروا في تداعياته.. ولهذا فنحن نقول أن الأديب يستشرف المستقبل، لأنه في الحقيقة يري ما لا يراه غيره.. وينتج أعمالا تجعلنا نرصد المستقبل انطلاقا من استقراء الواقع استقراء دقيقًا ومتأنيا.. ثم يمزجه بخياله ليقدمه لنا في عمل أدبي بعد ذلك يضعه بـين يـدي القـارئ فيدعوه إلي التفكير أو تأمل ما حوله أو يعاونه علي فهم النفس الإنسانية بل وفهم الحيـاة ذاتها في بعض الأحيان.

١٩٩٧

الاحتفال بحقوق الإنسان

لم يكن هذا العام كأي عام آخر في مدينة فرانكفورت إذ أسهم حدثان مهمان في تغيير مجريات الأمور هنا مما يحسه الزائر للمدينة منذ لحظة وصوله غليها وأول هذين الحدثين هبوب رياح التغيير في السياسة الألمانية منذ انتخاب مستشارها الجديد "جيدهارد شرودر" رئيس الحزب الاشتراكي الديمقراطي الذي وضع نهاية لحزب اليمين المحافظ بزعامة هيلموت كول الذي أمضي ٢٢ عاما في الحكم والذي يري المراقبون هنا علي جميع المستويات أن سياسة المستشار الجديد ستسفر عن تحولات كبيرة في سياسات سلفه أما الحدث الثاني فهو الاحتفال باليوبيل الذهبي لمعرض فرانكفورت الدولي والذي تحول في عيده الخمسين ومنذ لحظة افتتاحه برئاسة الرئيس الألماني رومان هو تزوج إلي مركز دولي مهم للدعوة للحقوق الإنسان ولمبادئ الحرية والديمقراطية والحوار بين جميع شعوب العالم.

وأنا هنا أنقل للقارئ بعض المشاهدات من هذه الاحتفالية الدولية المهمة وهذا الملتقي العالمي الكبير والذي جعل من "حقوق الإنسان" شعارا له ومن "حرية التعبير" هدفًا نبيلاً يسعي لترسيخه منذ هذا العام ولعل السبب الأساسي في هذا يكمن في أن هذا اليوبيل الذهبي يتواكب مع مرور خمسين عاما علي الإعلان العالمي لحقوق الإنسان.. مما جعل من هذه القضية محورا أساسيا للمناظرات الفكرية بداخله وقد حرص علي حضور هذا الحديث المهم أكثر من ٦٠٠٠ فرد من رجال السياسة والإعلام والفكر والمكتبات والنشر والفن.

أما الرسالة الأساسية التي يستخلصها المشارك في هذا الاحتفال فهي أنه بدون المحافظة علي الحريات الأساسية للإنسان والحرص علي الديمقراطية ولغة الحوار فلن يكون هناك مكان للقاء بين الشعوب ولن يكون هناك مستقبل آمن للإنسان علي هذه الأرض.. ومن هنا حرص مسئولو المعرض علي التقاط واحد من أهم مبادئ إعلان حقوق الإنسان ليصبح هدفًا له وهو "حرية التعبير" كما حرصوا علي إقامة مناظرات فكرية شارك فيها إعلاميون ومثقفون من مختلف أنحاء العالم. وحول حقوق الإنسان أقام المركز الدولي عدة مناظرات فكرية شارك فيها مفكرون وإعلاميون من الجزائر وفلسطين ولبنان وكوبا وبولندا واليابان وألمانيا وغيرها حيث تعرضوا للأوضاع الاجتماعية الراهنة بداخل أراضيهم وقدموا نماذج لهذه الأوضاع من خلال الأعمال الفكرية المطبوعة وقد شاك مثلاً في هذه الندوات الشاعر الفلسطيني محمود درويش

والكاتب الجزائري محمد مجني والكاتب اللبناني إلياس خوري.. كما شاركت مصر بإقامة حفل استقبال بقاعة المركز الدولي من خلال اتحاد الناشرين العرب حيث عرضت أهم إصدارات الفكر المصري والسعودي والسوري للحاضرين. كما تم أيضا ولأول مرة الإعلان عن جائزة سنوية جديدة دولية لـ"حرية التعبير" وذلك بمناسبة مرور خمسين عاما علي إعلان حقوق الإنسان وهذه الجائزة قدمتها منظمة الناشرين الدوليين ومقرها جنيف والتي يرجع تاريخ تأسيسها إلي عام ١٨٩٦ بمدينة باريس وهي تضم ٧٤ عضوا من ٦٥ دولة ويرأسها "الان جروند" وقد منحت الجائزة هذا العام للناشرة والموجهة الثقافية التركية "ايزينور زاركولو" وذلك لمساهمتها العظيمة في الدفاع عن قضية حرية التعبير وحرية النشر وقد تميزت بأنها قامت بتأسيس دار النشر هي وزوجها وأصدرت أكثر من ٤٠٠ عنوان معظمها عن حقوق الإنسان وقد حكم عليها بالسجن بسبب ذلك كما تعرضت كتبها للمصادرة بل إنه في عام ١٩٩٥ تعرضت دار النشر التي تهلكها للاعتداء بالقنابل حيث تم تدمير حوالي ٥٠% من ممتلكاتها بالإضافة إلي هذا فإنها عضو نشيطة في منظمة حقوق الإنسان بتركيا كما تم تكريمها من قبل في أمريكا.

وفي عيده الخمسين تحول المعرض إلي أكبر ملتقي دولي لأحدث وسائل الاتصال والمعلومات في العالم، هذا الدليل الحي علي التطوير التكنولوجي الكبير والسريع الذي يشهده العالم خلال السنوات الأخيرة.. سواء في نظم التعليم أو الاتصال أو المعلومات، إذ تلتقي هنا أيضا أجزاء مهمة من شبكة الإنترنت الأوروبية.

وهذا العام تم تخصيص قاعة كبرى مكونة من ثلاثة طوابق كاملة تضم الوسائل الإلكترونية، ويشارك فيها ١٧٨٢ ناشرا من ٥٢ دولة، مما يعد مؤشرا واضحا علي انتشارها خلال السنوات المقبلة، كما تم تخصيص جوائز دولية متخصصة لدعم تطور النوعية في مجال الإلكترونيات منها جائزة لأفضل اسطوانة ليزر أوروبية. وهنا أيضا شاهدت عرضا تكنولوجيا مبهرا لأحدث نظم الاتصال في العالم بحضور الرئيس الألماني رومان هرتزوج وتحت رعايته.

ولكن لعله من المناسب أن نتساءل: هل هذا التطور العلمي الهائل والسريع سيؤثر علي مكانة الكتاب؟.. هذا السؤال أكد عكسه تماما رولاند المر رئيس مجلس إدارة المعرض، حيث قال: "إن صناعة الكتاب لن تأفل ولكن ستشهد تغيرا في الاتجاه إلي الأفضل إذ أكدت ذلك دراسة بريطانية خاصة بسوق الكتاب بها أنه مع حلول عام ٢٠٠٢ ستحدث زيادة في مبيعات الكتب تصل إلي ٢٠% وذلك خلال السنوات الخمس المقبلة.

كما أكد هذا التغير إلي الأفضل أيضا في مجال الكتاب أحد خبراء السوق الأمريكيين من مؤسسة "صناعة الكتاب" في دراسة له أشار فيها إلي أن ثمة زيادة تصل إلي ٤,٥% في سوق الكتاب الأمريكي خلال السنوات الخمس المقبلة.

ولكن في ضوء هذه التغيرات إلي الأفضل سيحدث أيضا اكتساح للتكنولوجيا. ولهذا فسيزداد إنتاج المنتجات الإلكترونية جنبا إلي جنب مع الزيادة في إنتاج الكتاب التقليدي.

كما رأيت هنا عددا كبيرا من الإصدارات الجديدة التي تعكس الأحداث الراهنة، والتي تغطي البقع الساخنة والمشكلات الدولية القائمة في العالم.. وكتب أخرى تحاول قراءة المستقبل في محاولة لجعله أكثر أمنا لإنسان القرن المقبل.. ولعل نظرة سريعة علي بعض ما صدر هنا يعطي للقارئ فكرة عن أهم هذه الكتب:-

"مونيكا والرئيس.. العلاقة المدمرة".. هذا كتاب جديد صدر باللغة الفرنسية ويثير ضجة كبيرة هنا، وترتفع أرقام الطلب عليه بشكل ملحوظة ويدور حول تلك الفضيحة التي تثير الرأي العام في كل مكان حتى الآن، والخاصة بالعلاقة الحميمة التي كانت بين الرئيس كلينتون والمتدربة بالبيت الأبيض مونيكا لوينسكي.. هذا الكتاب الصادر منذ أيام فقط أصدره كاتبان فرنسيان هما اوديل وفيليب فيرديبه.. ويتناولان فيه السيناريو الكامل لبدء هذه العلاقة التي تورط فيها أقوى رجل في العالم، كما قالا، منذ ١٥نوفمبر ١٩٩٥ والتي زلزلت الكرة الأرضية، وهزت سعر الدولار وزعزعت من سياسة الولايات المتحدة.. تناولا تفاصيل لم تعرف حول لقاء مونيكا بليندا تريب الموظفة بالبنتاجون والتي سجلت لمونيكا ٢٠ساعة كاملة من المحادثات الهاتفية حول أسرار علاقاتها بالرئيس وهي التي سلمت الشرائط إلي المدعو كينيث ستار.

كما يضع الكتاب بين دفتيه نص الكروت والرسائل التي بعثت بها مونيكا إلي الرئيس ترجوه أن يحدد مكانا للقائهما ونص بعض الرسائل المكتوبة بخط يدها.

ثم كتاب آخر جديد يقدم قراءة للمستقبل أيضا بعنوان "الديمقراطية" ويدور حول كونها الفكرة الوحيدة القوية الصالحة لبث الأمل في حياة أفضل للأجيال الصاعدة، خاصة بعد ظهور عيوب الأيديولوجيات الشمولية.. ولأن هذه الفكرة لا تزال في حاجة إلي المعرفة والفهم وبخاصة من جانب الشباب، فإن المؤرخ الأمريكي روبرت دارنتون والخبير السياسي الفرنسي أوليفييه دو هاميل جمعا في هذا الكتاب وجهة نظر ١٥ من أفضل الخبراء في هذا المجال من أمريكا وفرنسا ليقدما بانوراما واسعة للديمقراطية،

وللمناقشات التي تثار حولها اليوم، كما يلقيان الضوء علي كل العناصر اللازمة لتحقيق النموذج الديمقراطي.

كتب أخرى صدرت بالإنجليزية في محاولة لفهم الإسلام والشرق الأوسط من وجهة نظر علمية حضارية هادئة ومن خلال دراسة لمبادئه وتطوراته المختلفة.. وهو محاولة لتفنيد المفاهيم الخاطئة السائدة في الغرب حوله.. ومنها كتب "وجها لوجه مع الإسلام السياسي" و"الإسلام والعصرية" و"الإسلام اليوم".

كتاب آخر أيضا يحاول قراءة مستقبل قضية الصراع الفلسطيني. الإسرائيلي من وجهة نظر عاقلة بلا انحياز لعقيدة أو تعصب لدين. والغريب أن مؤلف هذا الكتاب هو مفكر يكتب بالفرنسية، وتصدر كتبه في دور نشر كبري فرنسية لكنه صاحب دعوة للسلام وللتعايش بين الأديان.. وقد لقي كتابه فور صدوره اهتماما واسعا بين المثقفين هنا.. هذا الكتاب هو اندريه شوراكي أما الكتاب فعنوانه "القدس مدينة مقدسة" وخلال صفحاته يستعرض تاريخ هذه المدينة المقدسة التي كانت ملتقي الديانات الثلاثة، كما يؤكد ضرورة إقرار التسامح بين الشعوب والدعوة لتحقيق السلام في هذه المنطقة المشتعلة من العالم.

حضور مصري بارز:

كانت مصر حاضرة هنا بدءا من وسائل الإعلام وبين صفوف المثقفين وبين أفراد الشعب الألماني.. إذ أذيع في التليفزيون هنا خلال نشرات الأخبار دور الرئيس مبارك في إقرار السلام بين سوريا وتركيا.. وأكد التليفزيون دور مصر الحيوي في دفع قضية السلام في أية منطقة من العالم.. كذلك أذاع التليفزيون الألماني فيلما عن مصر الحديثة والفرعونية لقي إعجاب الرأي العام.. ورجل الشارع هنا بشكل لافت للنظر.

ومن ناحية أخرى شارك وفد مصري كبير هذا العام ولأول مرة في فعاليات اليوبيل الذهبي لمعرض فرانكفورت للكتاب.. إذ وصل عدد الناشرين لأول مرة من مصر إلي ٣٠ ناشرا. وهذه الخطوة هامة في اتجاه التواجد في المحافل الثقافية الدولية الهامة مما يفتح الطريق لدور مصري بارز في ساحة الثقافة والفكر في القرن القادم.. وهو دور أساسي ينبغي أن نحرص عليه في تخطيطنا للقرن القادم.

١٩٩٨

أمينة السعيد أو الأستاذة الحاضرة

في نفس هذا اليوم من شهر أغسطس تحل الذكرى الرابعة لرحيل الأستاذة أمينة السعيد التي كانت واحدة من أبرز النساء المصريات في القرن العشرين.. ولم يكن بروزها من عالم الصحافة فحسب بل كانت واحدة من رواد التنوير ومن أشجع المناضلات في حركة تحرير المرأة المصرية.. فكان لمواقفها الشجاعة ولجرأتها في المطالبة بمشاركة المرأة في المجالات السياسية والاجتماعية والثقافية أثر بالغ في المكتسبات التي حصلت عليها في النصف الثاني من هذا القرن.. ولقد عرفت أمينة السعيد عن قرب ومن خلال انضمامي إلي عضوية جمعية الكاتبات التي كانت ترأسها حتى وفاتها وهي التي كانت دافعي للانضمام إليها أثر مكالمة تليفونية واحدة منها لأنني أحببت العمل معها وفي ظل مواقفها الوطنية.. كان دافعها لإحياء جمعية الكاتبات في عام ١٩٨٣ هو التصدي لمحاولات الردة وتجميع صفوف الكاتبات والمثقفات لتنظيم اللقاءات والندوات للمطالبة بإصدار قانون جديد للأحوال الشخصية بعد إلغاء قانون ١٩٧٩ الذي كان أول محاولة لتعديل القانون القديم الصادر في عام ١٩٢٩.. أتذكر إننا كنا نتبادل الرأي في ديمقراطية كما كانت تحب الإنصات لرأينا كشابات معها.. ولم نتوقف عن المشاركة في الأنشطة الثقافية ولا عن عقد اجتماعات مجلس الإدارة حتى بعد أن اشتد عليها المرض اللعين.. ولكن لي الحظ أن شاركت بإلقاء كلمة في الندوة المخصصة لمناقشة أعمال الإبداعية في عام ١٩٩١ في مسرح الهناجر.

كما مثلت مصر في المحافل الدولية فسافرت إلي الهند وأمريكا والسويد وإيطاليا وغيرها.. ولا ننسي أنها تقلدت مناصب هامة فهي أول رئيس مجلس إدارة دار صحفية كبرى هي دار الهلال (وذلك في عام ١٩٧٦) كما كانت وكيلة لنقابة الصحفيين ومن أجل نبوغها وتميزها حصلت علي عدة صورة من التكريم منها وسام الاستحقاق من الدرجة الأولي في عام ١٩٦١ ووسام الجمهورية من الدرجة الأولي في عام ١٩٨٠.. كما عينت بمجلس الشورى عام ١٩٨٠.. ورغم قوتها الظاهرة فإنها كانت ذات قلب رحيم يستوعب مشاكل المجتمع ويوجه من هم في حاجة إلي النصيحة وذلك من خلال بابها المشهور "اسألوني".. وقبل كل هذا أمينة السعيد الابنة العطوف والزوجة المخلصة والأم المساندة.. إذ كانت حريصة علي رعاية أسرتها وعلي إعطاء الفضل لأصحابه – أتذكر إنها في أول لقاء لي معها سألتها عن زوجها فقالت بفخر: هو الذي دفعني إلي تثقيف نفسي في بدء مشواري وذلك حين اشتري لي نسخة من أجزاء الموسوعة البريطانية أفادتني في

برنامجي الإذاعي.. أما أنا فإنني لن أنسى قط تلك اللوحة المعدنية المعلقة على باب فيلتها والمكتوب عليها "بيت العيلة" فلقد أحسست حينذاك أن حبها لعائلتها الصغيرة قد امتد ليتسع عائلتها الكبيرة المتمثلة في وطنها الذي ظلت تعمل في خدمة قضاياه حتى لحظة وفاتها.

رحلت أمينة عنا لكنها لا تزال حاضرة بقوة العزم التي أوصتنا بها فـي سـبيل خدمة قضايا الوطن ولا تزال كلما اجتمعنا برئاسة زميلتها ورفيقة كفاحها سـعاد زهيـر نتحدث عنها بكل الخير وكأنها لم ترحل قط.

١٩٩٩

رحيل لطيفة الزيات

لم يمهلها القدر لتحصد ثمرة نجاحاتها بعد رحلة كفاح طويلة.. فلقد رحلت بعد شهور قليلة من حصولها علي جائزة الدولة التقديرية في الآداب ومن انتخابنا لها رئيسة لجمعية الكاتبات المصريات.. رحلت الرائدة التي فتحت الباب لأجيال من بعدها لتكتب وتعبر عن مشاكل المرأة وعن نبض المجتمع المصري ولتستكمل مسيرة التنوير والحرية والتقدم في بلادنا.

رحلت لطيفة الزيات تاركة وراءها سجلا حافلاً من العطاء للأدب المصري وللحركة الوطنية.

ولقد كان مصابنا – نحن زميلاتها في جمعية الكاتبات المصريات أليما.. ولهذا شاركت نخبة من أبرز كاتباتنا في جنازتها إيمانًا بدورها وتعبيرا عن ألم فقدها قبل أن يمهلها القدر لتحقيق كل أحلامها للجمعية.. فجمعية الكاتبات المصريات رغم أنها تضم بين صفوفها أبرز الكاتبات المصريات من مختلف الأجيال، إلا إنها تؤدي رسالتها العظيمة بكثير من المعاناة والشقة.. واعتمادا فقط علي الجهود الذاتية لعضواتها.. فالموارد قليلة.. ولا تساندها أية هيئة حكومية رغم أهمية دورها علي الساحة الثقافية.. في وقت تسعي فيه خفافيش الظلام لإيقاف مسيرة التنوير والتقدم.. ولهذا فقد كانت الجمعية تستمد قدرتها علي الاستمرار من عميق الإيمان بنبل الرسالة وهي المشاركة في مسيرة الثقافة المصرية وإبراز أعمال الكاتبات المصريات ومناقشة أعمالهن باعتبارهن الكتيبة الأولي في صفوف حركة التنوير.. كما أن من أهداف الجمعية أيضا تقوية وشائج الأخوة والتلاحم مع الكاتبات العربيات ولقد حاولت عضواتها برئاسة الراحلة الكبيرة أمينة السعيد توفير الدعم لهذه الجمعية التي مارست أنشطة ثقافية وإبداعية مهمة وبارزة في السنوات الأخيرة غير أنها رحلت.. وتولت بعدها لطيفة الزيات رئاسة الجمعية.. غير أن القدر لم يمهلها هي أيضا لتحقيق أحلامها وأحلام زميلاتها في دعم الجمعية من أجل مواصلة حمل لواء الثقافة والفكر في بلادنا.

رحلت لطيفة الزيات تاركة وراءها أعمالاً خالدة لعل أبرزها رواية "الباب المفتوح" و"الشيخوخة" وعددا كبيرا من الدراسات النقدية.. وأملا طموحا في دعم الجمعية.

وإذا كانت الكاتبات يسقطن الواحدة تلو الأخرى.. فإن الباقيات قد عقدن العزم علي استكمال النضال لتحقيق المزيد من العطاءات السخية في مجال الفكر والثقافة العربية.. ورغم أنهن وحدهن علي الساحة الثقافية فإن في تجمعهن بداخل جمعية الكاتبات

ما يمدهن بالقدرة علي الاستمرار.. والصبر علي فراق الزميلات ولسوف تظـل لطيفـة الزيات باقية بمواقفها الوطنية والقومية وبإسهاماتها في حياتنا الأدبية رغم رحيلها.. ولعل في النعي الذي وصل إلي صفحة الأهرام الأدبي" بجريدة الأهرام من الاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب لأبرز دليل علي بقائها نجما ساطعا في تاريخ الأدب.. جاء في النعي الذي أرسله فخري قعوار الأمين العام للاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب: "إن الأمانة العامـة للاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب لتشعر بفداحة الخسارة التي منيت بها الحركة الأدبية والثقافة العربية الجادة وتؤكد أن مسيرة الفقيدة لطيفة الزيات وآثارها الأدبيـة والفكريـة ومواقفها الوطنية والقومية ستبقي هاديا للجميع".

١٩٩٦

الباحث عن المستحيل

أنا باحثة أزلية عن معني الحياة والوصول إلي لب الأشياء من خلال البشر.. لا يكفيني التساؤل حول معني الوجود والعدم.. وإنما يستهويني التصميم علي بلوغ اليقين.. وما أصعبه إذا كان يجول بداخل عالم الإنسان.

ومن عذابات محاولات فهم النفس البشرية قد أصل إلي الكشف عن بعض نوازعها وأسباب سلوكها وأسرار مساراتها.. وما وراء حياتها كلها.

وفي سعيي الدءوب هذا نحو البحث عن معني الحياة كان من أهم أنماط البشر الذين حرصت علي لقائهم: "المثقفون".. هؤلاء البشر "حاملو القيم".. الذين يحلمون بتطبيق المثل العليا وينشدون من خلالها عاتقهم تطوير الفكر الإنساني.. والتعبير عن آمال الناس في مجتمعاتهم وطموحات هؤلاء الناس.. ومعاناتهم.. وآلامهم وهم يتأملون في أسرار الكون بلا كلل ولا ملل.. وبدءا من النقوش علي جدران المعابد الفرعونية التي عبرت عن واقع الحياة في هذا العصر العظيم وإلي يومنا هذا.. ما يزال الإبداع هو انعكاس لحياة الشعوب وهو التعبير الحي عن العلاقات البشرية في أي زمن.. وأحدث وجه ثقافي حرصت علي لقائه كان الروائي الفرنسي المعروف آلان نادو ولعل السبب في أنني حرصت علي لقائه هو انه رغم انتمائه إلي الأجيال الحديثة نسبيا في الساحة الأدبية الفرنسية إذ أنه يبلغ من العمر ٤٦ عاما وله عشر روايات.. إلا أنه اختار لنفسه أن يكون رحالة في عالم غريب فريد من نوعه فهذا الروائي استطاع أن يخط لنفسه طريقًا خاصا متفردا جعل له مكانة متميزة علي خريطة الأدب الفرنسي المعاصر.. فهو يرحل عبر عصور ماضية أساسها وثائق حية من التاريخ ثم يبني عليها عالمه الروائي الفريد.. فرواياته مزيج من التاريخ والفلسفة والأدب.. إذا قرأتها لا تدري إن كان ما كتبه حقيقة أو خيالاً ولكنه كما قال لي: "أريد أن أخلق عالما يضع القارئ في حالة من الشك بحثًا عن الحقيقة.

وقد التقيت بالآن نادو في القاهرة التي جاء يقضي فيها أربعة أيام في شبه جزيرة سيناء بداخل مناجم التراكواز بها (حجر أزرق) بحثًا عن مادة لروايته القادمة التي ستدور حول النقوش التاريخية المرسومة بداخل هذه الجدران بالحروف الأبجدية.

أما الرواية التي جعلته بالفعل كاتبا ذائع الصيت في فرنسا فهي رواية "عبدة الصفر" التي صدرت في عام ١٩٨٤.. والتي أكد لي أنه لاقي صعوبات شديدة من أجل نشرها حيث رأي معظم الناشرين إنها ليست رواية تجارية ولن تحقق أرباحا. ولكنه

توصل أخيرا إلي نشرها.. وعلي عكس كل التوقعات حققت نجاحا كبيرا إلي حد أنها تطبع في طبعات الجيب حتى الآن وهذا يعني إقبال القراء عليها وأنها تحقق رواجا كبيرا ورواية "عبدة الصفر" التي حققت الشهرة لكاتبها هي سعي إلي المستحيل من خلال وثائق حقيقية تبني عليها هذه الرواية حيث يتكشف لنا تاريخ جماعة فيثاغورس.

وتنقلنا هذه الوثائق تباعا من قمة الزهد إلي مرارة العذاب والإشراق الروحي ومحاولات الوصول إلي لب الأشياء ملتمسة الأرقام كشواهد علي العالم الباطني للوجود.. وهو العالم الذي ينظم وينسق كل ما في الحياة.

وأحد أبطالها عالم مصري والآخر يوناني.. ويقول إن هدفه من هذه الرواية هو البحث عن الجهد الفكري للإنسانية من أجل اختراع رقم "صفر" والذي يمثل في حد ذاته غيابا للرقم.. وقد زار نادو كثيرا من الدول العربية منها مصر التي يكن لها انبهارا خاصا والإمارات ولبنان وسوريا وبعض دول الخليج.. وقد يتبادر إلي ذهن أحدنا أن رحلة البحث عن المستحيل هي فقط رحلات الإبداع.. ولكن من ينقب في حياة المبدعين حتى في عاصمة النور (باريس) سيجد أن وراء كل قصة (نجاح) في عالم الأدب رحلة إلي المستحيل قام بها الكاتب نفسه لبلوغ هذا النجاح وهذه المكانة.

١٩٩٤

مصر في عيون ثلاثة أدباء عالميين

حظيت مصر في السنوات الأخيرة بمكانة عظيمة علي الساحة الدولية وبخاصة في عالم الثقافة وبين المثقفين والأدباء والمفكرين وذلك لدعوتها المخلصة والمستمرة للسلام ونبذ كل ألوان العنف والإرهاب والتطرف كوسيلة لمواجهة القضايا المطروحة علي الساحة الدولية.

ولقد كان هذا الإعجاب الشديد بمصر سمة ظاهرة هنا في فرانكفورت، حيث التقيت بالعديد من الوجوه الثقافية.. فمثلاً في لقائي بثلاثة من الأدباء العالميين الذين يحظون بمكانة دولية بارزة علي ساحة الأدب العالمي المعاصر حرصت علي سؤالهم عن مصر جنبا إلي جنب مع حرصي علي تقديم نبذة عن كل منهم للقارئ العربي كي يتعرف علي بعض ملامح أدبهم الذي نالوا بسببه شهرة عالمية.

وهؤلاء الكتاب الثلاثة تجمعهم عدة خيوط مشتركة منها الالتزام بقضايا بلادهم رغم أنهم يعيشون في المنفي ومنها الإعجاب الشديد بمصر وهم علي التوالي الكاتب والأديب الكبير "ماريو فارجاس ليوزا" من بيرو ولكنه يعيش حاليا في لندن، والكاتب الأيرلندي "فرانك ماكورت" الذي يعيش حاليا في ألمانيا.. والشاعر الإيراني سعيد. واترك لهم الحديث عن أنفسهم ليتعرف عليهم القارئ المصري والعربي.

قال لي أديب أمريكا اللاتينية الكبيرة "ماريو فارجاس ليوزا" الذي يحظي بشهرة دولية بارزة، والذي ترجمت أعماله إلي عدة لغات عالمية منها الفرنسية والإنجليزية والإيطالية، والذي حصل هذا العام في ألمانيا علي "جائزة السلام" وهي من أهم الجوائز الأدبية الأوروبية، وأكثرها شهرة واحتراما، وذلك لأنه في أعماله الأدبية ودراساته ومقالاته يركز علي الحرية والعدالة كأساس لتحقيق السلام، كما أنه يمتاز بالشجاعة في الدفاع عن مبادئه، التي من أهمها إيمانه بأن السياسة لا يمكن فصلها عن الأخلاق.. أصدر ٢٥ كتابا منها الرواية والقصة القصيرة والمسرحية والدراسة وقد كان مرشحا لرئاسة الجمهورية في بلاده في عام ١٩٩٠ لكنه لم يوفق في الإعادة فهاجر ليقيم في لندن لاعتراضه علي الكثير مما يجري في بلاده.

قال أنا أري أن علي الكاتب التزاما معنويا "هو المشاركة في الحياة العامة وبخاصة إذا كان وطنه يعاني من مشاكل التنمية مثل وطني بيرو ومصر فهنا يقع علي الكاتب واجب معنوي هو المشاركة في النضال من أجل الدفاع عن الثقافة والحرية والوقوف ضد التطرف والإرهاب والعنف، وفي الوقت نفسه عليه أن يحافظ علي استقلاله

الذاتي فلا يصبح بوقا للدعاية السياسية ولهذا فإنني أري أن يظـل الأدب مـستقلاً عـن السلطة.. كما أري أنه ينبغي ألا يكون الأدب وسيلة للتسلية وبخاصة في الـدول الناميـة التي تعاني من مشاكل كثيرة.. وأنا أري أن الكلمة والسلطة كليتهما يمثلان سلطة مستقلة.. فقوة السلطة تمارس بطريقة مباشرة وملموسة وقوة الكلمة تكمن في أنها تكشف الحقيقـة، كما تفيد في تحليل المواقف وفي طرح الحلول الصحيحة للمشاكل وفـي تنـوير لرؤيـة الموقف علي حقيقته كما أن تأثير الكلمة يظل باقيا لمدة طويلة".

أما عن مصر كما يراها فيقول: إن مصر دولة رائعة الجمال، لقد زرتها منذ سبع سنوات، ولدي ذكريات رائعة عنها، حيث قمت برحلة نيلية بطول نهر النيل العظيم، ثـم بقيت أسبوعا بالقاهرة، ولقد بهرني الحضور الملموس للتاريخ فيها، وقد شـغلت بقـضية التطرف فيها رغم أنني أعرف أنه لا يمثل إلا أقلية ضئيلة، كما أدرك أن غالبية الـشعب المصري يريد أن يحيا في مناخ الحرية والديمقراطيـة والتـسامح والتعـايش الـسلمي المحتضر.

وتشغلني – بصفة خاصة – قضية التطرف في مواجهة الأدباء والمفكرين وأعتقد أنكم تتقدمون بخطي إيجابية في مواجهة هذه القضية من خلال أغلبية من الشعب تقف ضد العنف بكل أشكاله.

الأديب الثاني هو الأيرلندي فرانك ماكورت.. وهذا الأديب ما أن صدر له كتـاب في شهر سبتمبر الماضي في الولايات المتحدة بعنوان "بقايا أمي" حتى بيع منه خلال شهر واحد ١٨٠ ألف نسخة، كما ترجم فور صدوره إلي ٧ لغات أخرى منها الألمانية، حيـث باع في ألمانيا خلال شهر واحد ٦٠ألف نسخة والكتاب هو سيرة ذاتية تدور أثناء سنوات طفولته، وحتى سن التاسعة عشرة واعتبره النقاد التجسيد الحقيقي للإنسان الأيرلندي وهو يمثل الشتات الأيرلندي الكبير إذ أن نصف السبعين مليون فرد من الذين ينتمون لأصـول أيرلندية لا يعيشون في أيرلندا وأن كثيرا من الأدباء العظام في أيرلندا هاجروا منها.

قال عن دور الأديب المعاصر "أعتقد أنه من الضروري أن يكون إنسانًا مـستقلاً وروحا حرة تعبر عن قضايا الإنسان في مجتمعه وأن أيرلندا لا تزال تعاني مـن الفقـر الشديد، وهذا ما حاولت أن أصفه للقارئ من خلال التعبير عن حقيقة عشتها بنفسي فيظل ألم الفقر وعذابه في سنوات طفولتي".

أما عن مصر فقال: "إن زيارة مصر هي حلم من أحلامي أنا أحب مصر، كمـا أحب نجيب محفوظ الذي قرأت بعض رواياته، وأعتقد أن كلينا يفعل نفس الـشيء مـن خلال أدبه وأتمنى أن ألتقي به لمعرفة المزيد عنه وقراءة المزيد من أعماله، كما أتمنـي

رؤية مصر يوما ما لأنها المكان الذي بدأ فيه كل شيء قد أجئ إليها يوما كسائح لأنني أتمني رؤية الأهرام غير أنني آمل في أكثر من هذا أنني أتمنى أن أري الحياة بداخلها من خلال رؤية المجتمع المصري ولقاء الناس لمعرفة المزيد عن حياتهم".

أما الأديب العالمي الثالث فهو الشاعر الإيراني "سعيد" وسعيد هو اسم مستعار يستخدمه هذا الشاعر الذي يعيش في المنفي خارج وطنه إيران مطاردا من قبل الجماعات المتطرفة وهو يتغني بالحرية وكلماته تقطر عشقا لها ونقدا للحياة الداخلية بوطنه وسعيد حصل علي عدة جوائز أدبية أوروبية، كما أنه عضو بنادي القلم الدولي، وهو يجسد الحلم الإيراني للإنسان العادي الذي يرفض التطرف ويحلم بالهروب من بطش الإرهاب والعنف غادر طهران في عام ١٩٦٥ بسبب أشعاره الثورية ضد الأوضاع الداخلية هناك.

قال: "أنا أومن بقوة الكلمة في مواجهة قوة السلاح وأعتقد أن دور الكاتب هو التغيير من خلال الكلمة، أن أهم عدوين للنظام الإيراني الحالي هما الأدباء والمرأة، ومن هنا فإننا يجب أن نفعل شيئًا ضد الدكتاتورية وفي سبيل الدفاع عن الحرية للمواطن العادي.. أنا أعرف أن بإمكانهم اغتيالي في أية لحظة لكنني أحس بأن علي أن أكتب ضد التطرف ودفاعا عن الحرية".

وعن مصر قال: "إن مصر دولة تنادي بالسلام وتطالب به وتنبذ العنف والإرهاب غير إن ثمة أياد خفية تساعد العنف والتطرف بها.. أنني أدرك تماما أن غالبية الشعب المصري يقف ضد الإرهاب والعنف".

وعن الأدب المصري يقول: "أنني عاشق الأديب نجيب محفوظ وأنا أقول إنك إذا أردت هويتك فأنت تحتاج إلي ذاكرتك وهو يحافظ علي ذاكرته وبهذا فإنه يدافع عن ذاكرة الأمة دون أن يكون رجعيا.. نجيب محفوظ ثروة قومية. يجب الحفاظ عليها وقد أرسلنا إلي الحكومة المصرية من خلال نادي القلم الدولي نطالب بحمايته".

وهكذا كان الحديث مع هؤلاء الأدباء الثلاثة، حيث أدركت من خلال كلماتهم التلقائية أن الأديب العظيم لا تصنعه الصدفة، وإنما تصنعه أولاً وأخيرا موهبة إبداعية عظيمة وحنين عظيم لوطنه وحب للإنسانية.. وأن الأديب هو ذاكرة الأمة في كل زمان ومكان ولهذا فستظل الكلمة أقوى من السلاح مهما تغيرت الأحوال لأنها الأبقي والأخلد علي مر التاريخ.

١٩٩٦

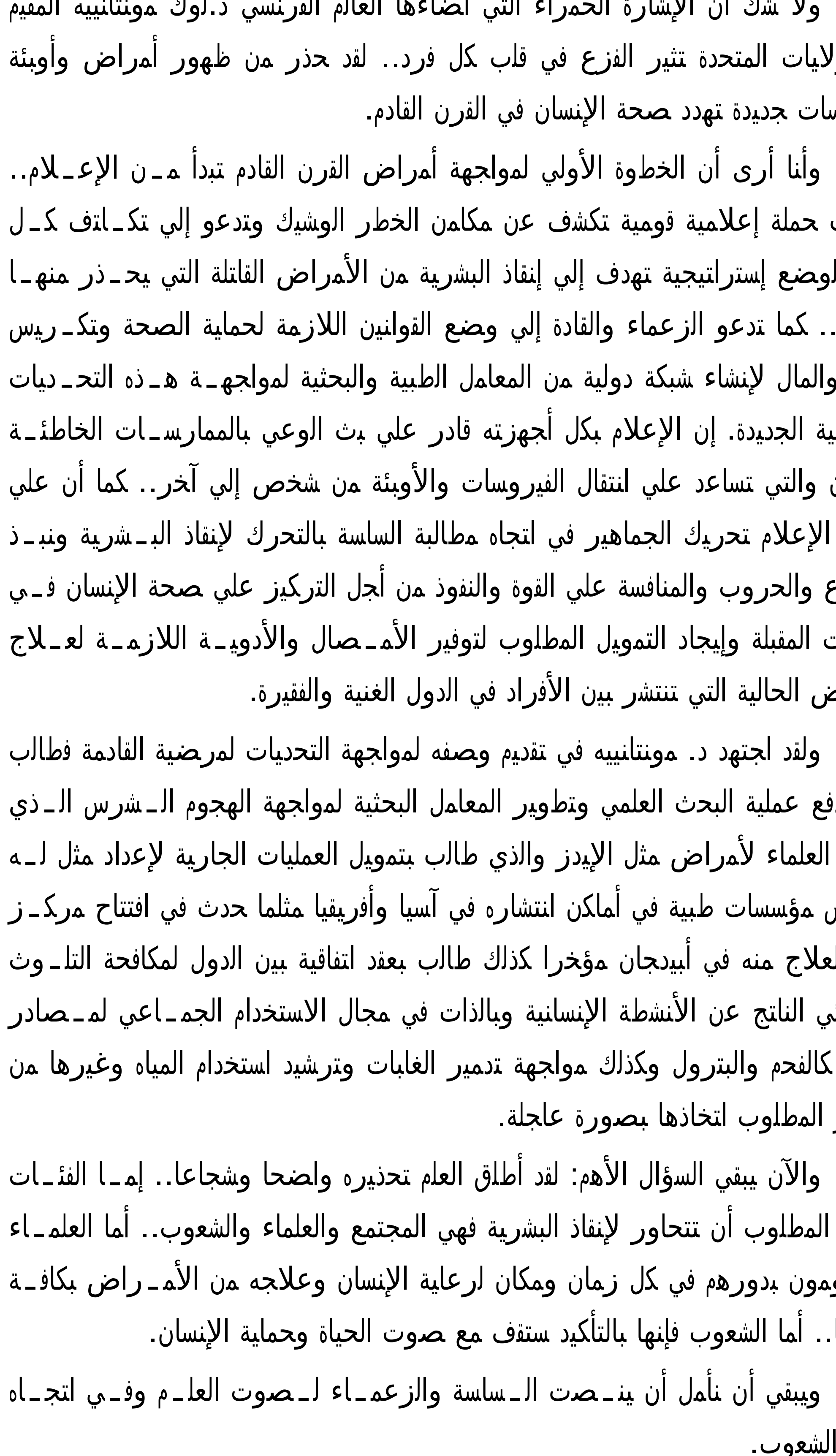
نحن والعلاقات المسمومة

في حياة كل منا مجموعة من العلاقات سواء أكانت علاقات بالأسرة أو بالأقارب أو علاقات مهنية أو اجتماعية.. أو علاقات زمالة أو صداقة..وقد لا نتوقف فـي دوامـة الحياة المعاصرة وزحامها ومسئولياتها وضغوطها المتعددة لنسأل أنفسنا عـن أثـر هـذه العلاقات أو تأثيرها علي أنفسنا ولهذا فإنني أطالبك أيها القارئ بأن نتوقف قلـيلا لنـسأل أنفسنا.. هل هذه العلاقات سلبية أم هي إيجابية؟؟ أي منها يساعدنا علي حياة صـحية وأي منها يدمر ذاتنا؟؟ أما أحدث نصيحة في مجال العلاقات الإنسانية فيقدمها لنا عالم فرنـسي في العلاقات الإنسانية غذ يقول لك ابتعد فورا عن العلاقات المسمومة وضع مسافة بينـك وبين من يسممون ذاتك" إن هذا العالم هو مؤسس ورائد علم النفس الإنساني فـي فرنـسا وهو يعد ظاهرة هنا لأنه واحد من ثلاثة وجوه يمكنها أنتجمع في قاعة مؤتمر ٢٥٠٠ فرد لينصتوا إليه في شغف وحماس عدة ليل متتابعة.. له حتى الآن ٢٧ كتابا في موضوعات إنسانية مهمة مثل الحب والعلاقة بين المرأة والرجل والعلاقة بالذات والعلاقة بالأطفـال.. يطلقون عليه في فرنسا "صانع العلاقات الإنسانية" أو "مهندس العلاقات الإنـسانية" أمـا أحدث كتبه فبعنوان "شجاعة أن تكون نفسك" وهو بمثابة روشته لحياة صحية مع الـنفس ومع الآخرين أو هو ميثاق يمكننا من أن نكون أفضل حالاً.ز يقول جاك سـالومية إننـا نتلقى نوعين من الرسائل: إيجابية تزيد من حيويتنا وتدعم من ثقتنا بأنفسنا وأخرى سـلبية هي بمثابة سموم حقيقية أو قنابل تدم ذاتنا وتسبب لنا الشك بالنفس وكراهيتها أحيانا ومـن هنا فإن علينا ألا نحتفظ بالرسائل السلبية في داخلنا وأن نترك مسافة بيننا وبين من قالهـا لنا لأن كل منا مسافة حساسة ينبغي ألا يخترقها الشخص السام، أما إذا كان الأمـر فـي مجال العمل فإن عليك أن تختصر التعامل المتبادل مع الشخص السام إلي الحـد الأدنـى وأن يكون تعاملك في حضور الآخرين لحماية نفسك من سمومه. هذه أول نصيحة يقدمها لنا جاك سالوميه لنهندس أو لنعيد ترتيب علاقاتنا الإنسانية بصورة أفضل.. ولكن يبقي أن هندسة علاقاتنا الإنسانية متروكة لأمرين أولهما: شجاعتنا الذاتية في مواجهـة العلاقـات المسمومة وثانيهما قدراتنا علي إعادة تشكيل علاقاتنا من جديد بصورة أفضل لنـا وكـلا الأمرين يتوقف علي قدراتنا الذاتية.

١٩٩٩

القرن الحادي والعشرون وأمراض جديدة

ثلاث فئات مطلوب منها أن تلتفت إلي التحذير الخطير الذي أطلقه واحد من أشهر العلماء المعاصرين إلي العالم منذ أيام.. هذه الفئـات الثلاثـة هـي: الـساسة والعلمـاء والمجتمع.. هذا التحذير يقول "لابد من وضع إستراتيجية دولية تشارك فيها كـل الـدول لإنشاء شبكة دولية من المعامل الطبية، لمواجهة أمراض القرن المقبل ولابد فورا من قيام حوار حقيقي بين هذه الفئات إذا أردنا الحياة في القرن الحادي والعشرين "أما صاحب هذه الصرخة المفزعة فهو البروفيسور الفرنسي ذو الشهرة العالمية مكتشف فيروس الإيدز د. لوك مونتانييه المقيم حاليا في الولايات المتحدة ولكن ما هي الأسباب التي دعت هذا العالم الشهير إلي الإدلاء بتصريحه هذا؟ يبدو لمن يتابع ما ينشر حول لقاءات اليونسكو لمواجهة تحديات أمراض القرن المقبل والتي شارك فيها مونتانييه وغيره من علماء من كل أنحاء العالم إننا مازلنا بعيدين عن الانتصار في معركة الإنسان ضد الفيروسـات والأمـراض الفتاكة. فلا يزال كل شيء في حياتنا يشجع علي انتشار الأمراض المعدية والقاتلـة بـل ويساعد علي ظهور أمراض جديدة تهدد البشرية في السنوات المقبلة وحين سألوا مونتانييه عن نقاط الضعف الحالية التي ستؤدي إلي تهديد الحياة في القرن المقبل قـال: إن هنـاك تسع نقاط ضعف موجودة الآن في الحياة من حولنا لابد من مواجهتها. أولاً عدم الـتحكم في النسل ومعدلات الارتفاع الكبيرة فيه في الدول الصناعية وفي دول العالم الثالث وعدم التحكم في الحالة الصحية لفئة المهمشين في المدن الكبرى أما النقطة الثانية فتتمثـل فـي انتشار المبيدات ووسائل مكافحة الآفات الزراعية مما يزيد من الإصابة بالسرطان. أمـا النقطة الثالثة فتتمثل في سوء التغذية المنتشرة بنسبة كبيرة ليس فقط في الـدول الفقيـرة وإنما في الدول الصناعية التي تعاني من خلل غذائي وإفراط يؤدي إلي أمراض كالـسمنة والقلب والسرطان. وتتمثل النقطة الرابعة في مقاومة المضادات الحيوية نتيجة الاسـتخدام المتزايد لها وترجع النقطة الخامسة إلي سرعة وتكرار السفر ممـا يـؤدي إلـي انتقـال الجراثيم بين الدول وتتمثل النقطة السادسة في حرية العلاقات غير السوية وتكرارها ممـا يؤدي إلي انتقال الفيروسات والجراثيم وتمثل النقطة السابعة سخونة الطقس مما يؤدي إلي ذوبان الجليد في بعض المناطق وارتفاع منسوب البحار.. وترجع النقطـة الثامنـة إلـي الإنسان ذاته الذي يخل بالنظام البيئي شيئا فشيئا عن طريق عملية تـدمير الغابـات كمـا حدث في أمريكا الجنوبية مثلاً وتتمثل النقطة التاسعة في التلوث الكيميـائي. ومـن بـين الأمراض الجديدة المتوقعة مثلاً فيروس القرود وفيروسات جديدة للأنفلونزا القاتلة وعودة انتشار أمراض حديثة مثل جنون البقر والإيدز وغيرها.



ولا شك أن الإشارة الحمراء التي أضاءها العالم الفرنسي د.لوك مونتانييه المقيم في الولايات المتحدة تثير الفزع في قلب كل فرد.. لقد حذر من ظهور أمراض وأوبئة وفيروسات جديدة تهدد صحة الإنسان في القرن القادم.

وأنا أرى أن الخطوة الأولي لمواجهة أمراض القرن القادم تبدأ من الإعلام.. مطلوب حملة إعلامية قومية تكشف عن مكامن الخطر الوشيك وتدعو إلي تكاتف كل الدول لوضع إستراتيجية تهدف إلي إنقاذ البشرية من الأمراض القاتلة التي يحذر منها العلماء.. كما تدعو الزعماء والقادة إلي وضع القوانين اللازمة لحماية الصحة وتكريس الجهد والمال لإنشاء شبكة دولية من المعامل الطبية والبحثية لمواجهة هذه التحديات المرضية الجديدة. إن الإعلام بكل أجهزته قادر علي بث الوعي بالممارسات الخاطئة للإنسان والتي تساعد علي انتقال الفيروسات والأوبئة من شخص إلي آخر.. كما أن علي أجهزة الإعلام تحريك الجماهير في اتجاه مطالبة الساسة بالتحرك لإنقاذ البشرية ونبذ الصراع والحروب والمنافسة علي القوة والنفوذ من أجل التركيز علي صحة الإنسان في السنوات المقبلة وإيجاد التمويل المطلوب لتوفير الأمصال والأدوية اللازمة لعلاج الأمراض الحالية التي تنتشر بين الأفراد في الدول الغنية والفقيرة.

ولقد اجتهد د. مونتانييه في تقديم وصفه لمواجهة التحديات لمرضية القادمة فطالب مثلاً بدفع عملية البحث العلمي وتطوير المعامل البحثية لمواجهة الهجوم الشرس الذي يتوقعه العلماء لأمراض مثل الإيدز والذي طالب بتمويل العمليات الجارية لإعداد مثل له وتأسيس مؤسسات طبية في أماكن انتشاره في آسيا وأفريقيا مثلما حدث في افتتاح مركز طبي للعلاج منه في أبيدجان مؤخرا كذلك طالب بعقد اتفاقية بين الدول لمكافحة التلوث الكيميائي الناتج عن الأنشطة الإنسانية وبالذات في مجال الاستخدام الجماعي لمصادر الطاقة كالفحم والبترول وكذلك مواجهة تدمير الغابات وترشيد استخدام المياه وغيرها من التدابير المطلوب اتخاذها بصورة عاجلة.

والآن يبقي السؤال الأهم: لقد أطلق العلم تحذيره واضحا وشجاعا.. إما الفئات الثلاث المطلوب أن تتحاور لإنقاذ البشرية فهي المجتمع والعلماء والشعوب.. أما العلماء فهم يقومون بدورهم في كل زمان ومكان لرعاية الإنسان وعلاجه من الأمراض بكافة أشكالها.. أما الشعوب فإنها بالتأكيد ستقف مع صوت الحياة وحماية الإنسان.

ويبقي أن نأمل أن ينصت الساسة والزعماء لصوت العلم وفي اتجاه صحة الشعوب.

١٩٩٩

الباليه الحديث يواجه العنف

لا شيء يبني جسور التواصل بين الشعوب رغم اختلافاتهم أكثر من جسور الثقافة وليس هناك ما يمكن أن يعزل خيوط التواصل الإنساني مثل خيوط الفن وما يفسده الساسة يمكن أن يتجاوزه المثقفون وما يقطعه الزعماء يمكن أن يصلحه الفنانون وفي عالم يتفجر بالعنف لابد أن يتحرك المثقفون والفنانون ليوقظوا الضمائر ويفجـروا المـشاعر النبيلـة ويمنعوا الإنسان من تدمير روحه وتحويله إلي آلة أو إلي وحش آدمي.. أو إلي كيان بـلا روح ولا مشاعر.

إن التاريخ سوف يتذكر بيتهوفن وتشايكوفسكي وشكسبير ويـضعهم فـي أرقـي منزلة وفي المقابل سوف يزدري أمثال هتلر وميلوسوفيتش ونيتانياهو ومن هنا تأتي أهمية الفن في عالمنا اليوم باعتباره اللغة التي تقرب بين الشعوب وتخاطب المشاعر الإنـسانية وترتقي بالوجدان ومن هنا يأتي احترامي لكل فنان صاحب رسالة نبيلة أو مفكر ذي هدف تنويري عظيم أو سياسي يقاوم العنف والحروب ولقد التقيت في القاهرة أخيرا بفنانة تقدم الوجه الآخر لأمريكا.. الوجه الفني الذي يقاوم العنف والحرب ويدعو إلي السلام والتفاهم بين سائر البشر وقد التقيت بها بعد مشاهدة حفلها للباليه الحديث والذي قدمت فيه فرقتهـا عدة تابلوهات منوعة علي خشبة مسرح الجمهورية وهي الفنانة (الأمريكية) كليو بـاركر التي تبث من خلال فرقة مكونة من ٣٠ فنانا وفنانة وبينهم ذوو البشرة السمراء والبيضاء رسالة نبيلة تدعو إلي رفض العنف ومواجهته عن طريق الفن وقد حرصت قبـل رفـع الستار علي أن تؤكد لي خلال لقاء سريع معها عن سعادتها الغامرة بتحقيق حلم حياتهـا بالمجيء إلي مصر ومشاهدة آثارها وأكدت أنها ستحمل إلي مواطنيها لدي عودتها صورة مصر الأمان والحضارة والفن كما أنها ارتجلت مشهدا جديدا في بدء العرض تقول فيـه علي لسان الرواية: إنني هنا في مصر أشعر إنني في وطني وبعد انتهاء العرض سـألتها "نحن في حاجة ماسة إلي الفنان صاحب الرسالة النبيلة ولكن هل يمكن للفن أن يوقف تيار العنف في عالمنا الراهن؟ وهل يمكن أن تسكت التابلوهات الراقصة التي تقـدمينها دوي المدافع التي تفتك بالبشر؟؟

قالت بينما قسمات وجهها تنطق بصدقها: أريد أن أعبر لك أولاً عـن إحـساس طاغ بالانبهار الذي اجتاحني لحظة وصولي إلي مصر ومشاهدة أثارها العظيمة أنها شيء أعظم مما يمكن أن يتصوره العقل.. أما عن رسالة الفن في مواجهة العنف فإنني أعتقد أن البشر بطبيعتهم لديهم ميل غريزي إلي التنافس والاختلاف ولكن الفن هو الذي يعلمنـا أن

اختلافاتنا جميلة وإنه ليس علينا أن نتنافس وأن نتصارع لأن هناك مكانًا للجميع علي هذه الأرض.. ورغم اختلافاتنا فإننا نتكلم لغة الروح ونحن في حاجة إلي أن نعـرف بعـضنا البعض فكثيرا ما يشعر الإنسان بعد احترامه لإنسان آخر فقط لأنه لا يعرف عنه شـيئًا.. أو لأنه يعرف معلومات خاطئة عنه.. أما في الفن فإننا وراء الكواليس نتفق علي أن هدفنا هو إبداع لغة مشتركة يفهمها الآخرون في أي مكان في العـالم.. حـين تركـت كليـو (الأمريكية) التي تعتز بأن الناس في أمريكا يلقبونها كليوباترة (المصرية). أخذت أسـأل نفسي ولكن هل يمكن في الحقيقة أن يقاوم الفن طلقة المدفع؟

وهل يمكن أن يوقف المثقف بفكره تيار العنف الراهن؟

وأجبت نفسي، بنعم فقط لأنني أريد أن أشعر بالتفاؤل في مواجهة عالم تتفجر فيه في كل لحظة عمليات عنف وصراع في كل بقاع الأرض.

وقلت لنفسي: غدا ربما يكون أفضل مادام هناك من يقـاومون القـبح والعنـف والحرب.. ومادام هناك من يرفعون راية الحوار والتفاهم والسلام والفن.

١٩٩٩

القاهرة تستقبل ألفية جديدة

ونحن نخطو إلي داخل ألفية جديدة، فإننا لابد أن نبدأ بالتخطيط لقـاهرة جديـدة. نريد أن تصبح عاصمتنا عروسا جميلة تليق بعاصمة أم الدنيا وأصل الحـضارات... لا يصح بأي حال من الأحوال أن نترك قاهرتنا علي وضعها الحالي إنها في حاجة إلـي أن نعيد التفكير معا في كيفية إنقاذها وننفض الغبار عنها ومعالجتها من الفوضـى والزحـام والتلوث والإهمال، ولي في هذا المجال عدة ملحوظات بدءا من المظهر الخارجي وانتهاء بسلوكيات الناس، ولعل أهم هذه الملحوظات وعلي رأسها البدء في شن حملة إعلامية من أجل إجراء جراحة تجميل لوجهها الحالي نريد أن نبدأ بطلاء منازلها مثلما يحـدث فـي معظم عواصم العالم في باريس مثلا، أو في الدار البيضاء، حيث يتم طلاء المنازل بصفة دورية باللون الأبيض، ثانيا أن نبدأ في توعية أهلها بضرورة احترام قوانين المرور فـي شوارعها وبضرورة احترام رجل المرور الواقف في خدمة الطريق طوال النهار. وثالثـا أن نبدأ في رفع درجة وعي المواطن بأهمية المحافظة علي نظافة الـشارع المـصري، وضرورة سن قوانين رادعة في هذا الشأن، كما يحدث في كل الـدول الأوروبيـة وفـي بعض الدول العربية التي تعاقب بالغرامة علي إلقاء القمامة من نوافذ الـسيارات أو فـي الشارع سألتني القارئة (س. ن) لماذا يحترم المصري قواعـد المـرور والقـوانين فـي الخارج، بينما هذا المصري لا يحترم قوانين المرور في بلاده؟ قلت لها إن الإجابة تكمن في القوانين ذاتها وأهمية تطبيق تلك القوانين، حيث يكون العقاب رادعـا وفـي معظـم الأحيان فوريا حتى أن الإنسان يفكر مائة مرة قبل أن يخرق قوانين المرور في الخارج أو في الدول العربية الشقيقة، ففي معظم الأحوال تكون نتيجة كسر الإشارة الحمـراء مـثلا الإنذار بسحب رخصة القيادة ثم سحبها في المرة التالية نهائيا، كذلك في الخارج يحتـرم الكبير قبل الصغير علامات عبور المشاة، ولا يجوز عبور الطريق إلا منها وإلا يتم دفـع غرامة باهظة، ولكن في القاهرة لا أحد يحترم الأماكن المخصصة لعبـور المـشاة، بـل الشوارع في حالة فوضى عارمة، كذلك ثمة ملاحظة أخرى خاصة بأهمية احترام رجـل المرور لواقف لحفظ النظام في الشاعر، فلقد لاحظت إننا في حاجة إلي قوانين أكثر حزما ترد له هيبته ومكنته وتجعله قادرا علي حفظ النظام في الشارع، حيث إننا جميعا نري ما وصل إليه الشارع من تدن في سلوكيات كثيرة من قائدي سيارات الأجرة والميكروبـاص حيث نري بعضهم وأيضا السيارات الخاصة يقومون بالتطاول علي رجل المـرور وقـد يصل الأمر إلي الاشتباك معه بالألفاظ النابية، أو بالأيدي في بعض الأحيان هذه النمـاذج

السيئة ينبغي أن يتم إيجاد سبل لردعها حيث إننا نري جميعا كيف يتم احتـرام شـرطي المرور في الدول الخليجية.

هذه هي بعض الملاحظات علي الشارع المصري في الآونة الأخيرة والتي نأمـل في تنفيذها حتى يعود للقاهرة وجهها الحضاري والجمالي الذي نتمناه.

١٩٩٩